

الشعر الإجتماعي في الأندلس

تأليف الدكتور
نضال أحمد النوافعة



الشعر الاجتماعي
في الأندلس

شارع الملكة رانيا – مقابل كلية الزراعة – عمارة العساف – الطابق الأرضي، هاتف: 5343052 009626 – فاكس : 0096265356219

الطبعة الأولى

2014

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(2014/3/1437)

811.6

النوافعة، نضال احمد

الشعر الاجتماعي في الاندلس// نضال احمد النوافعة

عمان: دار جليس الزمان 2014

الواصفات: الشعر الاجتماعي// العصر الاندلسي

ردمك: ISBN 978-9957-81-250-8

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الشعر الاجتماعي
في الأندلس
في عهد المرابطتن والموحدين

تأليف

الدكتور نضال النوافعة

الإهداء

قرأت في كتب الأساطير عن قياصرة الحب عن (ليلى ومجنونها، وعبلة و مفتونها، وجوليت ومحبوبها، ولكن مثل حبيبي لم أجد، فكل أساطير الحب لا تعني لي شيئا . فإذا بعد المحبوب عن محبوبه خف الغرام والهيام إلا محبوبي فيزده البعد عشقا وولعا؛ لأن روحينا تكونا في عالم واحد ينبض غراما، رغم البعد فأنا مشتاق له، هل جربت يوما أن تشتاق لشيء لم تراه، وأن تحب شيئا دون أن تتنفس هواه، فالحب ليس كلمة تقال ؛ وإنما هو رسم في القلوب دمه المحبة والهيام، هل تعرفون من محبوبي ، لا يعرف محبوبي إلا المشتاق، ولا ينطق اسمه إلا العشاق ؛ فمحبوبي من أقدم له هذا الإهداء

نضال النوافعة

الشكر والتقدير

إن من مقتضيات الواجب أن يسند الفضل إلى إهله ؛ لهذا أجد تقديرا مني أن أقدم باقة من الشكر لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور شفيق الرقب مدّ الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية ؛ لتكرمه بالإشراف على هذا العمل وحسن رعايته ودوام متابعته فهو لم يبخل عليّ بتوجيهاته وآرائه السديدة، ولم يأل جهدا من مدّ يد العون والمساعدة إلي حتى كان هذا العمل المتواضع فجزاه اللّه عني الجزاء الأوفى.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور فايز القيسي، على ملاحظاته القيمة التي أثرت هذا العمل، فله مني جزيل الشكر والعرفان.

نضال النوافعة



فهرس المحتويات

الفصل الأول:
المجتمع كما يصوره الشعر

الفصل الأول: المجتمع كما يصوره الشعر

1.1 المقدمة

الأدب مرآة لما يدور في الحياة، وتعبير صادق عن حياة الأمة في هناءاتها وبؤسها، ولعل عودة إلى كتب الأدب في عصر ما كفيلة بأن ترسم في أذهاننا صورة واضحة عن المجتمع في ذلك العصر، وهذا ما فعله نخبة من الأدباء، فقد رسموا لنا صورة واضحة المعالم عن مجتمعهم من خلال المادة الأدبية التي بين أيديهم، وثمة علاقة وثيقة بين الأدب وحركة المجتمع، وقد عبّر الشعراء الأندلسيون عامة عن كثير من العادات والتقاليد في الأندلس، وصوروا جوانب شتى من مظاهر السلوك اليومية، لذا وقع اختياري على دراسة الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر المرابطين والموحّدين، لما لهذا الشعر من أهمية في الدراسات الأدبية والاجتماعية والتاريخية في ذلك العصر.

كما أنه في حدود اطلاعي لم أعثر على دراسات سابقة تخص موضوع الشعر الاجتماعي في عصر المرابطين والموحدّين، وإنما هناك دراسة تخص الشعر الاجتماعي في الأندلس وهي: "**الشعر في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف**" محمد المشهداني.

وتتمثل أهمية البحث في دراسة الشعر الذي يتحدث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحدّين، وهو شعر لم يحظ باهتمام كبير لدى دارسي الأدب الأندلسي، ولم تتناوله دراسة مستقلة، وجل ما نجده دراسات عامة تناولت الحياة الاجتماعية بصيغ مختلفة، ومن ذلك دراسة الدكتور محمد مجيد السعيد، الشعر في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين.

كما أن طبيعة الشعر أو الموضوع تقتضي أن أستفيد من مناهج عدة في هذه الدراسة، مثل المنهج الاجتماعي في دراسة العادات والتقاليد والسلوك عند أهل الأندلس والمنهج التاريخي في الكشف عن العوامل التي أثرت في الشعر، والمنهج الفني في دراسة الخصائص الفنية لذلك الشعر.

وكان لا بد من خطة يساق بها الشعر، وخطوط أساسية ترسم للبحث جوانبه فاتخذت لذلك تقيماً مناسباً لطبيعة البحث، مبتدئاً بمدخل عرضت فيه "الحياة الاجتماعية في عصر المرابطين والموحّدين، فذكرت طبقات المجتمع، وبينت أهم مظاهر المجتمع الأندلسي".

ثم جعلت المادة في أربعة فصول، خصصت الفصل الأول لــ "المجتمع كما يصوره الشعر" وجعلته في ثلاثة أقسام، تناولت في القسم الأول "الحياة اللاهية" وقسمته إلى قسمين؟ مجالس اللهو والشراب"، ومجالس الغناء والرقص، تحدثت في القسم الأول عن مجالس اللهو والشراب، وأماكن عقد مثل هذه المجالس وأهم الأسباب التي تؤدي إلى عقد هذه المجالس، أما القسم الثاني فهو مجالس الرقص والغناء، فتحدثت عن أهم هذه المجالس وعن المطربين والجواري التي كانت تضيف جواً خلاباً لها، أما القسم الثاني "العادات والتقاليد"، فتحدثت عن أهم عادات وتقاليد الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحّدين" من عاداتهم في الدفن والتشيع، والألعاب الرياضية، والاحتفالات، والزواج، القسم الثالث خصصته للحديث عن "المجالس الأدبية" فتحدثت عن أهم هذه المجالس وما كان يدور فيها من مناظرات بين الشعراء، والدور الذي تقوم فيه في خدمة العلم والعلماء وأهم الشعراء الذين يترددون على مثل تلك المجالس.

وعقدت الفصل الثاني للحديث عن المرأة في الشعر الأندلسي وقسمته إلى أربعة أقسام، بدأته بمقدمة عن التحرر الذي تمتعت به المرأة في الأندلس

حتى ظهرت عندنا الشاعرات، والطبيبات، وكما علا نفوذ المرأة في عهد المرابطين والموحّدين.

وخصصت القسم الثاني للحديث عن الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية، فعرضت في هذا القسم صورة المرأة الجمالية من خلال الحياة الاجتماعية، مثل استخدام الخضاب والقماش الشفاف الذي يسدل على الوجه فيعطي صورة جمالية للمرأة وعن التفنن في لباس الزينة، والتجمّل بمختلف ضروب الجمال.

أما القسم الثالث فخصصته لـ"رثاء الزوجات"، فتحدثت عن رثاء الزوجة الأندلسية، والفراغ الذي تتركه الزوجة عند رحيلها فتصبح حياة الزوج لا معنى لها، وعن عواطف الزوج اتجاه زوجته بعد رحيلها عنه.

وأمّا القسم الرابع فخصصته للمرأة الشاعرة، وتحدثت فيه عن أهم الشاعرات اللواتي ظهرن في هذا العصر، وعن دورهن في خدمة العلم والأدب.

وعقدت الفصل الثالث للحديث عن الشعر والحياة اليومية، وقسمته إلى ثلاثة أقسام، خصصت القسم الأول للإخوانيات وتهنئة ولي الأمر، فبينت فيه أن الشعراء غالباً ما كانوا يرفقون هداياهم إلى رؤسائهم أو ذويهم وأصدقائهم بقطعة شعرية، تحبباً أو تزلفاً، موضح أن ظروف العصر، وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه هي التي ساعدت على انتشار هذا اللون.

ومن ثم تحدثت في القسم الثاني عن شعر "التعازي" الذي شاع وانتشر في ذلك العهد وما كان ينم عنه من مشاركة الأهل والأصدقاء أحزانهم، والتعبير عن عواطفهم الصادقة من خلال هذا النوع من الشعر.

ومن ثم تحدثت في القسم الثالث عن "النقد الاجتماعي"، وجعلته في قسمين، قسم يتحدث فيه عن نقد الخلفاء والأمراء والوزراء والفقهاء، وعن

دور هؤلاء في فساد المجتمع، وقسم عن نقد الأشخاص الآخرين، بما كانوا يتصفون به من بخل وقبح...

وعقدت الفصل الرابع للحديث عن "الدراسة الفنية" وقسمته إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول جعلته للغة والأساليب من استخدام المحسنات اللفظية، مبيناً أن الشعراء انحازوا إليه يطرزون قصائدهم بها، فأكثروا منه، وطرقوا بابه في أغلب جوانب شعرهم الاجتماعي، متكئين على المورث الشعري اتكاءً كبيراً في صناعة أشعارهم، من حيث الجمال وإخراجه أحياناً في معرض جديد يتناسب مع بيئتهم وعصرهم، وتحدثت في القسم الثاني عن الموسيقى الشعرية، متحدثاً عن أهم البحور الشعرية، كما بحثت بالقافية وذكرت أن الشعراء التزموا في الغالب بقافية واحدة.

وخصصت القسم الثالث لـــ"الصورة الشعرية" فتحدثت عن أهم مصادر الصورة التي استمدها الشعراء، متحدثاً عن الصورة والحواس، من خلال إبراز الألوان والحركة من خلال الصورة، كما تحدثت عن الصورة والأساليب البلاغية، من حيث الإكثار من إيراد التشبيهات في صورهم الشعرية.

وأخيراً فأنا لا أدعي شمولية البحث، ولكنني جهدت فيه ما وسعني الجهد، حتى استقام وفق المخطط الذي رسمته، بما أسعفتني به المصادر والمراجع، وكان لمشرفي الكريم دوره الفعال في التوجيه والإرشاد، فأسهم في بناء هذا العمل المتواضع الذي أرجو أن يكون لبنة متواضعة في صرح الدراسات الأندلسية.

2.1 التمهيد

إن فهم التركيب الاجتماعي في الأندلس، يفيد في معرفة المجتمع وأنماط تفكيره، وفهم نتاجه الفكري والحضاري[1].

اجتمعت في الأندلس أجناس متعددة الأصول والعقائد والاتجاهات، وقد تركت جميعها آثاراً واضحة في التركيب الاجتماعي للمجتمع الأندلسي، ومن أبرزها العرب[2] والبربر[3] الذين دخلوا البلاد فاتحين جنباً إلى جنب مع العرب، وهم يشاركون العرب في البداوة والشجاعة[4]، والعنصر الثالث، المولدون، وقد كان لهم دور فعال وبارز في الأندلس سواء في الأعمال الفكرية أو الثورات التي قاموا بها[5]. والعنصر الرابع هم الموالي، وهم موالي بني أمية[6]. والعنصر الخامس هم المستعربون، وهم الأسبان الذين بقوا على مسيحيتهم ولم يدخلوا في الإسلام، وكانوا يرون أنهم أحق بحكم بلادهم، وأن العرب والبربر دخلاء عليهم، وكان يشاركهم في هذه التسمية اليهود والعنصر السادس الصقالبة: يطلق اسم الصقالب أو الصقالبة على من يسمون اليوم بالسلاف، وهم جنس آري، ظهرت قوتهم حوالي القرن العاشر الميلادي، وازدادوا توسعاً في شرق ووسط أوروبا، أما العرب فقد أطلقوا هذه التسمية على أسرى الحرب من جميع البلاد الأوروبية، وعلى من وقع في أيدي المسلمين من الرقيق، وبهذا أدخل الخليفة عبد الرحمن الناصر عنصراً جديداً وهو عنصر الصقالبة[7].

وقد عانى اليهود من بعض أشكال الاضطهاد والتعسف في عهد المرابطين، ولاسيما في عهد يوسف بن تاشفين وكان شديد العداء والتعصب ضدهم، مما دفع بعضهم إلى اعتناق الإسلام أو دفع مبالغ طائلة ثمناً لحريتهم، كما حدث ليهود اليسانة[8]، حيث اضطر بعضهم نتيجة هذه المعاملة إلى ترك البلاد[9]، وفرض يوسف بن تاشفين على اليهود فريضة

ثقيلة، اجتمع له فيها (ماية ألف دينار عشرية ونيف على ثلاثة عشر ألف دينار)[10].

وفي عهد الموحدين قام عبد المؤمن بن علي بتخيير اليهود والنصارى بين الإسلام أو الهجرة وإلا فالموت مصيرهم. وفي آخر أيام أبي يوسف بن يعقوب أمر أن يميز اليهود بلباس خاص بهم دون غيرهم بسبب شكه في إسلامهم[11].

وأما النصارى فقد كانوا أحسن حالاً من اليهود، فقد كثر زواج المسلمين بالمسيحيات كما ضمت جيوش المسلمين أعداداً كبيرة منهم فكانت هناك فرقة عسكرية كاملة شاركت في حروب المرابطين ضد الموحدين[12]، ثم أننا لم نجد ما يشير إلى التعصب والتعسف ضد النصارى سوى واقعة واحدة، وهي عندما تآمروا على الاستيلاء على غرناطة سنة (519هـ) مع ابن ردمير.

أما في عصر الموحّدين، فقد كان عبد المؤمن بن علي صارماً في سياسته، وقد مر بنا كيف خيرهم بين الإسلام أو الهجرة وإلا فالموت مصيرهم، ولكن من جاءوا بعده كانوا أقل منه تعصباً وأكثر تسامحاً اتجاه المسحيين، حتى أن المأمون سمح لهم بإقامة كنيسة في مراكش عاصمة المملكة يضربون نواقيسهم ويؤدون فيها صلاتهم[13].

وانقسم المجتمع في عهد المرابطين إلى قسمين هم الخاصة وتشمل الملثمين والقضاء والفقهاء،و العامة وهم الرعية، فقد كان الملثمون يحيون حياة في معزل عن طبقات المجتمع، فاخذوا يأنفون من الخضوع لأحكام القضاة[14]، لذلك لم يتوان أمير المسلمين عن ردعهم وأمرهم بطاعة القضاة، وبذلك عمل على نشر العدل والمساواة بين الناس[15].

وقد تمتع القضاة والفقهاء في ظل المرابطين بسلطان عظيم، عندما أعطاهم يوسف بن تاشقين سلطة مطلقة[16]، وقد لجأ إليهم أصحاب الحاجات للشفاعة عند ذوي النفوذ في الدولة[17].

ولم يتغير حال الفقهاء مع انقلاب الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأندلس في عهد المرابطين، بل ترسخت أقدامهم، وتطاولت إلى أن بلغوا مبلغاً عظيماً في دولة المرابطين، فاجتمعت لديهم ثروات ضخمة أثارت الحفائظ وأظهرت الضغائن، فذمهم الناس،و تهكموا عليهم وعلى المرابطين أنفسهم[18].

وكان نتيجة هذا النفوذ الذي حظي به القضاة والفقهاء في الدولة المرابطية أن حاول ابن حمدين[19] أن يستقل بملك قرطبة في آخر عهد المرابطين[20].

أما بالنسبة للعصر الموحدي، فقد انقسم الشعب إثر الدعوة الموحدية إلى قسمين هما: الفئة الحاكمة الموحدون، وعامة الشعب الرعية[21].

وبرز في هذا العصر دور القبائل العربية المتمثلة في عرب بني هلال، الذين يحتلون منزلة مرموقة بين طبقات المجتمع الموحدي، وكان هؤلاء العرب يشكلون قوة فعالة في جيوش الدولة الموحدية[22].

وتمتعت هذه القبائل بسلطة قوية في الدولة، وخير مثال على ما بلغه سلطان هذه القبائل من تسلط في الحكم، إنه حين قتل ابن أحد صحابة المهدي أخا عبد المؤمن أجبره رجال القبائل الموحدية على التنازل عن دم أخيه[23].

وقد بالغ الموحدون في سياسة استمالة العرب، آملين أن يخلدوا إلى الهدوء، وأن يكونوا ضمن الجيوش الموحدية المجاهدة في الأندلس، فقد أمر

للفارس الكامل منهم خمسة وعشرون ديناراً، وغير الكامل خمسة عشر ديناراً، والراجل سبعة دنانير[24].

كما أمر الخليفة لكل شيخ خمسين ديناراً، ولكل رئيس على قبيلته (مائتي دينار) وكساهم جميعاً بالقباطي، وأعطاهم السيوف المحلاة، وأمر لهم (بثلاثة آلاف) فرس قسموها على قبائلهم وأتباعهم، ونتيجة هذه الأعمال نجحت سياسة الموحدين في استمالة القبائل العربية. وكسب الكثير منهم جنوداً في الجيش الموحدي[25].

وأما لباس أهل الأندلس فكان الطيلسان وهو مصنوع من الديباج، ويصنع أيضاً من الكتان المزخرف، ولا يغطي رأسه بالطيلسان إلا الشيوخ المعظمون[26]، كما يلبسون غفائر حمراء وخضراء والصفراء مخصصة لليهود، والذؤابة تكون مسدولة من تحت الأذن اليسرى ولا يرخيها إلا العلماء[27].

كما أن المرابطين كانوا يضعون اللثام، وهو لا يفارقهم، وغفائرهم قرمزية اللون[28]، ولونهم السواد، ويحملون الأعلام السوداء، ويرتدون المعاطف السوداء[29].

وكان لون الموحدين البياض، ويستعملون إلى جانبه اللون الأخضر عند إعلان الجهاد ضد النصارى[30]، وكان شعار الحداد عند أهل الأندلس هو اللون الأبيض[31].

وقد أصيب تيار المجون في العهد المرابطي بصدمة عنيفة أدت إلى انحساره والحد من تدفقه، وكان هذا الانحسار بسبب سياسة الدولة القائمة على الدعوة الدينية.

واستمر هذا الحد في عهد المرابطين عندما أمر المنصور بإراقة المسكرات وقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها، فأريق منها في البلاد ما يساوي أموالاً جمة[32]. كما أمر بمنع لبس الثياب الحريرية الثمينة، وأخرج ما

كان في المخازن من الحرير والديباج المذهب فبيع بأثمان باهظة[33]، كما أمر الشرطة بالقبض على المغنين، فهرب من وجد منهم، وبذلك بار سوق القيعان وانتشر الزهد[34].

وانتشر اللهو والترف مرة أخرى بعد وفاة المنصور حتى عم جميع نواحي الحياة[35]، بما فيها من مجالس للخمر الصاخبة، واجتماعاتهم العابثة البعيدة عن كل التزام ديني أو اجتماعي، حتى أن بعضهم أعلنوا بصراحة عن إلحادهم بما وصفوا به الإسلام بأنه دين الرعاع[36]، كما إن بعض القضاة كانوا يتهاونون في إقامة الحد على شاربي الخمر[37]، وبذلك عادت حياة اللهو والمتعة إلى الانتشار مرة أخرى وعمت أرجاء البلاد.

وأهتم ملوك المرابطين بالرعية، فأقاموا المساجد العديدة ذات الأبراج العالية وأقاموا الأسوار القوية حول المدن[38]، والحدائق ذات النوافير البديعة.

أمّا ملوك الموحدين فقد بنوا المستشفيات، وقد بنى المنصور بمدينة مراكش بيمارستان وأمر البنائين بإتقانه على أحسن وجه، وأجرى له ثلاثين ديناراً في اليوم برسم الطعام وما ينفق على خاصته، وجلب إليه الأدوية، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم[39]... كما أنشأ المدارس ودور الحضانة حتى إن عبد المؤمن أنشأ مدرسة تضم (ثلاثمائة ألف) طالب وكان يدرس أولاده فيها[40].

وازدهرت حركة البناء في هذا العصر، فكان بناء مدينة المهدية، واستطاعوا أن يجلبوا إليها الماء من مكان بعيد، حتى تتوفر فيها شروط الراحة[41].

وفي مدينة اشبيلية أقاموا القصور والجسور، وفيها الجسر العظيم ذو القنطرة عظيمة الهندسة الممسوكة بالمراكز والتي تربط بين المدينة وقرية الشرف المجاور لها[42].

كما أقاموا شبكة طرق ضمنت المواصلات بين مختلف أجزاء البلاد، وضمنوا البريد بشكل بديع وسريع في الليل والنهار، والبحر والبر، وكانت الدولة تتحرى جداً في اختيار سعاة البريد (الرقاصين) وكانت تمنع عليهم الإساءة إلى سمعة وظيفتهم التي تعتبر من أشرف الوظائف[43].

وشهد الشعب الأندلسي في عهد الخلفاء الأول فترة رخاء، فكثرت الأرزاق وأعد من القمح والشعير للمعلوفات، والمواساة للعساكر على وادي سبو بالمعمورة مكدساً كأمثال الجبال، وبقي من عام (سبعة وخمسين إلى اثنين وستين وخمسمائة) حتى فني في أكداسه[44].

وقد عفا أمير المؤمنين أبو يعقوب عن المسجونين، وأمنهم من المخاوف فنشر العدل ونعم الناس بفضله، فازدادت المخازن وفوراً، ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة[45]. كما أمر الخليفة أن يدخل عليه أمناء الأسواق، وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم[46]، فكثر المال في الأيدي من توالي سمحه وبركته، واشتمل الحب له في جميع القلوب والأنفس[47].

وكان المنصور كلما دخلت سنة يأمر أن يكتب له الأيتام المنقطعون فيجمعون إلى موضع قريب من قصره، فيأمر لكل صبي منهم بمثقال وثوب ورغيف[48].

وازدهرت الزراعة، ولاسيما زراعة الفاكهة، ووجدت أشهر مزارع الفاكهة في ولايتي بلنسية واشبيلية، ونمت حول اشبيلية غابات كبيرة من الزيتون ويوجد بالقرب منها (مائة ألف) معصرة زيتون[49]، ويصل إيراد

الزيتون إلى (ثلاثين ألف) دينار موحدية[50]، وكما أنشأت مصانع للسلاح والورق، وأخرى جلدية في شاطبة[51].

ونتيجة هذا العدل والرخاء الذي عم الشعب، انتشر الأمن، حيث يسير الراكب حيث يشاء من البلاد في طرقها، ومسالكها آمناً في نفسه، وماله لا يخاف إلا الله أو الذيب، كما أحسن الخليفة لمن وفد إليه واستغاث به من أجناد وأهل الأندلس المأسورين عند النصارى. ففداهم بماله، واستبان فضله وعدله نوراً من الأنوار، وأخذ الزكاة من الماشية والحرث على حكم الله وسنة رسوله، ووضعها في مواضع حقها[52].

ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعياداً، وأعراساً، مواسم كثرة خصب وانتشار أمنٍ، ودرور أرزاق، واتساع معايش[53]...حتى شبه الطلبة وأهل التواريخ هذه الأيام بأيام عثمان بن عفان رضي الله عنه[54].

3.1 المجتمع كما يصوره الشعر

1.3.1 مجالس الشراب واللهو

تفنن شعراء الأندلس القول في مجالس الشراب واللهو وأبدعوا في هذا الأمر فقد وصفوا هذه المجالس وما يدور فيها من فرح وسرور، ووصفوا السقاة والندماء، ووصفوا أماكن انعقاد هذه المجالس في الحانات والرياض، والبساتين، كما تفننوا في وصف الخمر وآنيتها وكؤوسها.

وقد كان بعض الشعراء يفضل شرب الخمر وانعقاد هذه المجالس في أحضان الطبيعة الخلابة، إذا هب النسيم، أو في أيام الشتاء والثلوج وسحر الاخضرار، وسنا الفجر، فكان هذا كله من منشطات الشرب واللهو وعقد مجالسها.

وهذا ابن سارة الشنتريني، يقول مخاطباً أهل غرناطة القاطنين عند جبل شلير[55] المكسو بالثلوج وكأنه درة بيضاء، محللاً لهم شرب الخمر، وتخفيف ما هم فيه من زمهرير ويتمنى الشاعر من الله عز وجل إذا كان مدخله في جهنم أن يدخله في مثل هذا اليوم؛ لما له من متعة وجمال في نفسِ الشاعر؛ إذ يقول[56]:

يحلُّ لنا تَـرْكُ الصـلاةِ بأرضـكم ... وشرْبُ الحُمَيَّا وهـو شـيءُ محـرَّمُ
فِـراراً إلى أرض الجـيم فإنهـا ... أحَـنُّ علينـا مـن شـلْيْر وأرحـمُ
فإن كنْتَ ربيَّ مُدْخِلِي في جهنَّمِ ... ففي مثلِ هذا اليوم طابتْ جهـنَّمُ

والشاعر ابن شهاب بن المالقي يعتبر الخمر مثل روحه، فإذا غابت عنه غابت روحه عن جسده؛ إذ يقول[57]:

الراحُ روحي، فـلا والله أتركهـا ... ما دامَ جسـمي مشـتاقاً إلى روحِ

وامتزج حب الرياض والحدائق، بحب الشراب ومجالسه عند الشاعر الأندلسي وراح يرتاد هذه الأماكن التي كانت محفزاً كبيراً على عقد مجالس الشراب واللهو، بما فيها من طبيعة خلابة، وخصوصاً وقت تفتح الأزهار، وتورق الأشجار؛ وفي هذا يقول ابن بقي[58]:

عجبت لمن أبقى علـى خمـر دنّـه ... غـداة رأى لـوز الحديثـة نـورا

ويزداد التداخل بين الطبيعة ومجالس الشراب واللهو حتى تغدو مكملة وملازمة لها في استكمال دواعي السرور مشبه الطبيعة بالجنة والغدران بالإنسان الذي يضحك من شدة مسرته وسعادته، فالمجلس عقد في الطبيعة الجميلة وما تمثله هذه الطبيعة من شدو الطيور وصوت المياه والرعد وتفتح

أكمام الزهور، كل هذا يضفي جواً خلاباً على هذا المجلس، وهذا ما يشير إليه الشاعر ابن إسحاق إبراهيم بن عبيد الله[59]:

بـادر إلى شـادٍ وكـأس تـدورُ		ومجلـس قـد زينتـه بـدور
في جنـة تضـحك غـدرانها		وترقص القضب وتشدو الطيور
لمـا غـدت الرعـد بهـا مطربـاً		شق له الزهـر جيـوب السـرور

ويظهر التداخل بشكل كبير بين الطبيعة، ومجالس الشرب واللهو، فهذا أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، يصف مجلساً على ضفة نهر قد عقده مع صحبه؛ فيقول[60]:

على نهرِ شنّيلٍ وللقُضْبُ حولنا		مَنابر ما زالـت بهـا الطـيرُ تَخْطـبُ
وقد قرُعَـتْ منـهُ سَـبائِكُ فضّـة		خـلالَ ريـاض بالأصـيلِ تُـذهّبُ
شـربنا عَليهـا قَهـوْة ذهبيّـةً		غَدتْ تَشْرَبُ الألبابَ آيّانَ تُشْرّبُ
كأنْ ياسميناً وسط وردٍ تفتّحـتْ		أزاهـرُهُ أيّـان في الكـأسِ تُسْـكبُ
نعمْنا بهـا واليـومُ قـد رقّ بـرْدُهُ		إلى أن رأينـا الشـمسَ عنّـا تُغـرَبُ

لقد أطلق الشاعر الأندلسي لنفسه العنان فتدفق شعره في سلاسة استمدها من واقع الطبيعة الخلابة التي كان يعيش فيها، وحياة اللهو ومجالس الشراب التي كانت منتشرة فوصف هذه المجالس بما يدور فيها، مع وصف للطبيعة الأندلسية، وتداخل هذه الطبيعة في مجالس الشرب واللهو والغناء، وفي ذلك يقول ابن خفاجة[61]:

سَـكرَى، يُغَنّيهـا الحَمـامُ، فتنَـثني		طَرَباً، ويسـقيها الغمـامُ، فتشـربُ
يلـهوُ، فترفـعُ، للشّـبيبة، رايـةُ		فيه، ويطلُـعُ للبهـاره كوكـب[62]

والروّض وجهُ أزهر، والظل فرعُ أسود، والماء ثغر أشنبُ[63]
في حيثُ أطربنا الحَمامُ عشّيةً فيشدا يغنينا الحَمامُ المطربُ
في فتيةٍ، تسري، فينصدعُ[64] الدّجى عنها، وتنزلُ بالجديبِ، فيخصبُ

ويصف لنا ابن خفاجه، مجلس أنس، بما فيه من شراب ولهو، وقد عقد هذا المجلس في الليل، فيقول:

ونَديّ أنس هَزنّي هزَّ الشرّاب من الشّبابِ[65]
والليّل وَضاحُ الجبين قصيرُ أذيال الثّياب[66]
والنَّورُ مبتسمُ، وخدُّ الورد محطوطُ النّقاب[67]
فكأن كأس سُلافةٍ ضحكت، إليهم، عن حباب[68]

وفي هذه الطبيعة الجميلة، وبما تدخله في نفوس الناس من الفرح والسرور والبعد عن كل ما يكدر البال، تكون الدعوة إلى حضور مثل هذه المجالس ويصف لنا أبو جعفر بن سعيد دعوة لحضور أحد هذه المجالس والتي تضم جميع أنواع المتعة والسرور من شدو ورقص، وتبادل الكلام الفكه، وتعانق وتغامز، كل هذا يعطي المجلس جواً خاصاً من الفرح والسرور، كما يشبه الشاعر الحاضرين في هذا المجلس بالأنجم وهو البدر الزاهر؛ إذ يقول[69]:

يا خَيرَ من يُدعى لكاس داني ووجوه أقمارٍ وروضٍ ناضرِ
إنا حضرنا في النّديّ عصابةً معشوقة من ناظمٍ أو ناثرِ
شدْو ورقصُ واقتطاف فكاهةٍ وتعانقُ وتغامزٌ بنواظرِ
وهم كما تدري بأفقي أنجمُ لكنْ لنا شوقٌ لبدرٍ زاهرِ

وفي ظلال الغابات الخضراء والحدائق الجميلة بما فيها من ورود وجداول المياه، تتوفر فيها وسائل الطرب والأنس والشراب والانغماس في المتعة، فهو يألفها ألف العتيق لكتابه، ولا يشتهي سوى هذا الكأس شراباً له يوم الحشر، وقد قال (إبراهيم بن سهل الإسرائيلي) يرد على دعوة لحضور مجلس فقال[70]:

ولا مـن ينـادي نحـو نهـرٍ ودوحـة ووجـهِ أخـي حسـن يقابـل بالبـدرِ
أعد دعوة اللُّقيا على مسمعي الـذي يلـذ بمـا أودعتـه دائـم الـدّهر
ولا تنس ذكر الكـأسِ فهـو كمـا لهـا وحسّن لها الإغفال من حلبـة الـذّكرِ
سـآلفها إلـفَ العتيـق كتّابـه ولا أشتهي ورداً سواها لدى الحشـر

وقد حضر أبو جعفر بن سعيد مع إخوانه إلى مواضع يعرف بالسلطانية على نهر اشبيلية قد عقد فيه مجلس للشراب واللهو، استمر حتى الصباح؛ فيقول[71]:

رقّ الأصيل فواصـل الأقـداحا واشرب إلى وقت الصباح صباحا

وقد استدعى ابن السيّد البلطيوسي أبا الحسن، لحضور مجلس قد لاحت شموس قداحه، وارتاحت نفوس ندامه، وتأود الغصون قدود خدامه، وكأنما لمعان كؤوسه وهي في يد الساقي تحت الضوء نجوماً تلمع؛ إذ يقول[72]:

عنـدي مشـكود الخمـر عبـق
فيـه مُنـى مُصـطبح ومغتبـق
كأنمـا كئوسـه تحـت الغسـق
فيـه راحـة السـاقي نجـومُ تـأتلق

وقد شغف الشعراء بالخمر وتعلقوا بها لدرجة أنهم اعتبروها قد ملكتهم الناس فأصبحوا عبيداً لهم، وأنهم إذا فقدوها فقدوا أنفسهم يقول أبو جعفر بن سعيد[73]:

الخمـــــرُ ملّكـــــتني   فـــالخلقُ لـــي عبيـــدُ
يحـــنُّ لـــي إذا مـــا   أبصـــرتها تجـــودُ
منهـــا أنـــا إذا مـــا   فقـــدتها فقيـــدُ

وهذا الشاعر علي بن خروف يصل إلى درجة العشق من تعلقه بالخمر، فهو عاشقها الذي لا يستطيع الانفصال، أو ينسى عشيقته؛ فيقول:

لا ترجـــون لمثلـــي   مـــن هـــذه الـــراح توبـــة
فإنمـــا هـــي ليلـــى   وإنمـــا أنـــا توبـــه[74]

وقد وصل بعض الشعراء إلى المجاهرة بالشرب واللهو، ووصلوا إلى أعلى مراتب الزندقة عندما وصفوا الإسلام بدين الرعاع، واستهتروا بشهر رمضان المبارك؛ يقول أبو جعفر[75] في هذا:

يقول أخـو الفضـول وقـد رآنـا   علـى الإيمـان يغلبنـا المجـونُ
أتنتهكـون شـهر الصـوم هـلاّ   حمـاه مـنكم عقـلٌ وديـنٌ
ندين بكل دين غـير الـدين الـر   عـاع فمـا بـه أبـداً نـدين
نحي على الصبوح الدهر نـدعو   وإبلـيس يقـول لنـا أمـينُ
فيـا شـهر الصـيام إليـك عنّـا   إليك ففيك أكفـر مـا نكـون[76]

ويزداد الاستهتار بشهر الصيام. فهذا الأعمى التطيلي ينتظر انقضاء شهر رمضان من أجل القيام بالأفعال الذميمة، وهي شرب الخمر؛ فيقول[77]:

قد تولّى شهرُ الصيام حميداً   فاخلفيه فيا بفعل ذميم
صبّى حُرمة له كرمت ما   كان عهدي في حفظها بكريم
مَن ينادم على الحديث فقد   اختلس الكأس مِنَ حديث القديم

وقد كتب أبو بكر محمد بن العوام الإشبيلي إلى صديق له عندما رأى هلال العيد فبادر إلى كأس الشراب، وقد تورع صديقه عن تلك الليلة خفية اللوم؛ فقال:

إذا لاح الهلال فقم إليه   بإهلال لتوديع الّصيام
ولا تسمع بقدر اللّحظ إلا   تلاقي وفد أكواس المدام
وقل إن قيل: حيّ على حلالٍ   صباح الفطر حيّ على الحرامِ[78]

وتداخلت عناصر كثيرة مع الطبيعة في وصف لوحات الشعراء الخمرية ومجالس شربهم ولهوهم، ومن هذه العناصر أصوات الدواليب، كما في قول المالقي[79]:

أهوى محادثة النّدمان في السّحر   ونغمة الطائر المصّفي إلى الوتر
وقول ساقي النّدامى حان شربكم   على بقايا شُعاع البدر في النُّهر
وقد غدت رنّة الدّولاب موقظةً   إلى الصبُّوح عيوناً دنّ بالسَّهر

ولعل من أهم الأسباب التي تدعو لشرب الخمر وعقد مجالسها، أسباب ذاتية مثل تداخل الهموم، فيهرب الإنسان إلى الخمر ومجالسها معتقداً أنها

ملاذ ومنجا له من هذه الهموم، هذا ما يشير إليه ابن السيد البطليوسي في أبياته[80]:

سلّ الهموم إذا بنا زمنُ بعدامة صفراء كالذّهبِ
مزجت فمن درٍّ على ذهبٍ طافٍ ومن حباب على لَهَبِ

وأخذ بعض الشعراء يدعون للشرب المدمن الذي لا يعرف الصحو، والتمتع في ملذات الحياة بنهم ظمآن لا يرتوي، وهذا كما في قول ابن صناديد[81]:

ثم إن شئت حياةُ ترتضي لا تصح سكراً
واقطع الدنيا يقينا وذر اللّذات تترى
لا تكن أعدى عدّو قائلاً نفسك صبرا

ووصف ابن زهر الاشبيلي مجموعة من السكارى بعد أن انتهوا من شربهم، فغلب عليهم النعاس، وقد اتخذوا من أكفّهم وسائد لهم[82]:

ومسّدين على الأكف خدودهم قد غالهم نومُ الصباح وغالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتّى سَكرتُ ونالهم ما نالني

وعلى الرغم من غرام الشاربين بالطبيعة، وعقد مجالسهم بين أحضانها، فإنهم عقدوا مجالسهم في الأديرة والبيوت، ويقدم لهم الشراب وأنواع الطعام، وسقاة تدير الكؤوس بينهم؛ ويقول ابن خفاجة[83]:

بدارٍ سقتها ديمة إثر ديمةٍ فمالت بها الجدران سطراً على سطر
فمن عارضٍ يسقي، ومن سقف مجل يغنّي، ومن بيت يميل من السكر

إذا مـا وهـي ركـن فـأهوى، فـإنني　　لأشجى من الخنساء تبكي على صخر

وظهرت مهنة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمجالس الشراب واللهو، وعدت شرطاً أساسياً من شروط انعقادها، وركناً من أركانه الأساسية، مهنة تقديم الخمر، ولا شك أن مهنة تقديم الخمر

تتطلب شروطاً يجب أن تتوفر في الساقي مثل الخفة والوسامة، والسرعة في تلبية حاجات الحاضرين ورغباتهم، وقد وصف ابن خفاجة وسامة أحد السقاة ووصفه بأنه مثل الغصن المتمايل من شدة السكر، وقد احمرت الكأس في يده حتى غدت مثل الوردة الحمراء، كما يصف خده بالحمرة من شدة السكر؛ فيقول[84]:

وأهيـــفٍ قـــام بســـقي　　والســـكر يعطـــف قـــده
وقـــد ترفّـــع غصـــناً　　واحمـــرّت الكـــأس ورده
وألهـــب الســـكر خـــداً　　أورى بـــه الوجـــد زنـــده
فكـــاد يشـــرب نفســـي　　وكـــدتُ أشـــرب خـــدّه

وقد وصف ابن السيد البطليوسي مقدمي الشراب أيضاً فقال:

بيـدي سـاقٍ تـرى في طوقـه　　بـدر ريـمٍ قـد تجـلّ في غسـق
خلتهـا إذ غرّبـت في ثغـره　　شمسها أبقت[85] بخديه شفق[86]

وقد وصف ابن السيد البطليوسي مجلس أنس وطرب دعي إليه بما فيه من قرع السرور وكؤوسه وأباريقه، وقد ضمت عليه المجالس أزرارها، ووصف السقاة وهم يديرونها بين الحاضرين[87]:

يسعى بها أهـون الجفـون كأنّهـا   من خده ورضاب فيـه الأشـنب
بدران: بـدر قـد أمنـت غروبـه   يسـعى ببـدر جـانحٍ للمغـرب
فإذا نعمت برشف بـدر غـارب   فـانعم برشـفة طـالع لم تغـرب
حتى تـرى زُهـر النجـوم كأنها   حـول المجـرّة ربـربٌ في مشـرب

أما الساقي عند ابن مسعود الجياني، فهو وسيم متورد الوجنات، يسكر بألحاظه الندماء ويصبوا إلى حسنه الجالسين، ولا يتأخر عنهم في شيء؛ إذ يقول(88):

يـديرها شـادن رخـيم   يصـبو إلى حسـنه الجميـع
إذا أتـى بالصـدود ذنبـاً   فالحسـن في وجهـه شـفيع

ومن مهام الساقي بالإضافة إلى تقديم الشراب، بث البهجة والسرور في المجلس بما يجب أن يكون عليه من مظهره، ومشيته أو طريقة تقديم الشراب، وهو لا يمنع ندماءه أن ينالوا ما يشتهون من العناق. وقد قال ابن سعيد(89):

سـاقيهم مبـذلٌ   لا يمنـع المـاء القـراح
كـل يمـد يمينـه   مـا في الـذي يـأتي جنـاح
هبُّـوا عليـه كلمـا   هبّـت علـى الـروض الريـاح
طـوع الأمـاني كّـل مـا   يـأتي بـه فهـو امتـزاج
عانقتـه حتّـى تركـ   ـتُ بخصـره أثـر الوشـاح

وها هو ذا ابن سهل الأندلسي يصف لنا أحد السقاة من خلال التغزل بزيه الجميل الساحر، ومقلتيه اللتين تسكران الجالسين؛ فيقول(90):

وأقحــوان الــزّى بــدا ســحراً　　وأقحــوان النجــوم قــد ذبــلا
يســقيك مــن كأســه ونــاظره　　درّاً بكـــاس صـــبابة وطـــلا
تختــدع الســكر مقلتــاه فــإن　　نبت بـه الكـأس كـان مستحلا

وترتبط مجالس اللهو والشراب بالطبيعة ووصف سقاتها، فقد وصف لنا ابن الزقاق، أحد السقاة في مجلس قد عقد في الطبيعة بما فيها من أزهار وورود وأن هذا الساقي بقي يدير الكؤوس حتى طلع الصباح فقال[91]:

وأغنّ طاف بـالكؤوس ضـحى　　فحثهـا والصـباح قـد وضـحا
والــروض يبُــدي لنـا شـقائقهُ　　وأســهُ الصــنبريُّ قــد نفحــا
فظــلَّ ســاقي المــدام يجحــدها　　قــال فلمــا تبسَّــم افتضــحا
قلنـا وأيـن الأقـاح؟ قـال لنـا:　　أودعته ثغـر مـن سـقى القـدحا

ويعود ابن الزقاق مرة أخرى واصفاً أحد سقاة المدام، ويصف الكأس في كفه بهالة في الأفق، ويصف ما عليه هذا الساقي من الجمال؛ فقال[92]:

وقام بالقهوة الصهباء ذو هيـفٍ　　يكــاد معطفــه ينقــدُّ بــالنَّظر
يطغو عليهـا إذا مـا شـجها دورٌ　　تخالها اختلس مـن ثغـره الخصـر
فالكأس في كفّـه بـالراح مترعـةٌ　　كهالةٍ أحدقت في الأفـق بـالقمر

عني شعراء الأندلس بوصف آنية الشراب، فذكروا أنواعها، وأشكالها، وألوانها ومن هذه الأنواع التي ذكرت الكأس، والإبريق، وقد ورد ذكر الكأس عند ابن سهل الأندلسي، فقال[93]:

سل الكأس تزهو بين صبغ وإشـراق　　أذوب فيها الورد أم وجنة السـاقي

كــؤوس تحييهــا النفــوسُ كأنهــا حــديث تلاقــي في مســامع عشّــاق

وقد حظيت الكأس عند الشعراء بنصيب وافر من التشبيه، فهي بجمالها ولمعانها، كالكوكب في الليل، نراه في شعر أبي الحسن علي بن محمد ؛فقال[94]:

وقال ألا تدرون ما في كؤوسكم فلا كأس إلا وهو في الليل كوكـب

ووصف خالد المالقي الكأس وهي في يد شاربها ضاحكة بالمرأة البكر التي تمرح بين الأنس والخضر ضاحكة مسرورة؛ فقال[95]:

والكأس ضاحكة في كف شاربها كالبكر تمرح بين الإنس والخضر

وورد في شعر الأندلسيين وصف للأباريق، والطاسات، وأشكالها، وألوانها فرسم أبو الربيع بن سالم صورة جميلة لتلك الأواني المستعملة في مجالس الشراب، فقد شبه الإبريق عاشقاً والكأس حبيباً له يغازله، بصورة جميلة تبعث البهجة والسرور في النفوس فقال[96]:

كأنمـــــا إبريقنــــا عاشـــــقٌ كـل عـن الخطـو فمـا أعملـه
غــازل مــن كــاسٍ حبيبــاً لــه فكلمــــا قبلـــهُ أخجلــــه

إنّ ما ذكره الشعر الأندلسي من وصف لآنية الشراب، يدل على ما وصل إليه الأندلسيون من براعة وجودة في صناعة أنواع عديدة من الأواني، حفظ لنا الشعر وصفاً لأشكالها وألوانها وأنواعها، وهذه كانت لها صلة بمجالس الشراب بما تبعثه من بهجة وسعادة.

2.3.1 مجال الغناء والرقص:

كثرت مجالس الغناء، وتعددت أنواعها وألوانها في الأندلس، ترنمت فيها الجواري، والمغنيات على وقع الآلات الموسيقية وأنغامها، وانطلقت أصوات المغنيين الذين برعوا في ميدان الغناء والموسيقى، وترتبط كلمة مغني في المعنى بكلمة موسيقى كما سميت الموسيقى بالطرب، وقد كان المسلمون المتشددون يسمونها "اللهو" لذلك سميت الآلات الموسيقية باسم "الملاهي"[97].

ومن مجالس الغناء في الأندلس، المجلس الذي أشاد فيه الوزير الشاعر محمد بن مالك في عهد المرابطين، بروح الفنان الأندلسي المنفعل بالأنس والطرب، كما يشير إلى عادة شق الجيوب وأنها ليست حق عليهم، إنما الحق أن تشق القلوب من شدة الطرب؛ إذ يقول[98]:

لا تلمني بأن طربتُ بشجو   يبعث الأنس فالكريم طروب
ليس شقُّ الجيوب حقاً علينا   إنَّما الحق أن تشقَّ القلوب

وقد عرفت مدينة اشبيلية من بين مدن الأندلس باحتواء مجالس الغناء والرقص، والمطربين، وهذا واضح من المناظرة التي عقدت في مجلس منصور بن عبد المؤمن بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر ابن زهر، فقال: ابن رشد من جملة حديثه.. "ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة... وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته حملت إلى اشبيلية"[99].

وقد سار أمراء المرابطين على درب أمراء الطوائف في الأندلس في العناية بمجالس الغناء، "فقد كان الأمير أبو بكر بن يوسف بن تاشفين والي سرقسطة في عصر علي بن يوسف، وقد اتخذ الفيلسوف ابن باجه كاتباً له،

فيروى أن ابن باجة حضر مجلساً من مجالس الغناء والطرب لمخدومه ابن تيفلويت، وألقى موشحته التي أولها:

جـــزّر الـــذّيل أيهَّـــا جـــرّ وصَـــلِ أشـــكر منـــك بالشُّـــكر

فطرب الأمير لذلك، فلما ختمها بقوله:

عقـــــد الله رايـــــة النَّصـــــر لأمـــير العُـــلا أبـــي بكـــر

فلما طرق ذلك التلحين سمع الأمير صاح واطرباه... وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف بالإيمان المغلظة لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه(100).

كما وصف الشعر الأندلسي المغنيين والمغنيات الذين أحيوا هذه الحفلات، وبعثوا الفرح والسرور في مجالسها، فوصف الشعراء جمال أصواتهم، وبراعتهم في الغناء، وقال ابن خفاجة يصف أحد المغنيين، حسن الصوت وقد ملكه السكر فأخذ يلوي عطفه كأنه غصنٌ تعانقه الرياح، وهو حسن الصوت والمظهر، فالشاعر متردد هل يستمع إلى صوته أم يتمتع بالنظر إليه؛ إذ يقول(101):

ومغـــرّدٍ هـــزج الغنـــاءِ مُطـــرّبٍ تلقـــي بـــه ليـــل التمـــام فيعَصُـــرُ
سفر الشّـباب بـه لنـا عـن غـرَّةٍ ترمـي بهـا ليـل السّـراد فيعمـد
وكأنـــه والسُّـــكر يلـــوي عطفـــه غصـــن تعانقـــه الرّيـــاح منـــوّرُ
مـلأ المسـامع والعيـون محاسـناً فلم أدرِ هل أصغي إليه أم انظـر

وكان حسن الغناء، وروعة الأداء، وجمال المظهر لإحدى المغنيات عند ابن خفاجة، مما ملك عليه قلبه، فانطلق يصف لنا حسن صوتها ومظهرها، فهي فتاة جميلة متوردة الخدود، تترنم في غناءها كأنها حمامة تترنم على الأشجار، وهي بين النجوم قلادة وخلف الصباح نقاب؛ إذ يقول[102]:

فتـق الشّـباب بوجنتيهـا وردةً ... في فـريح إسـحلةٍ تعيـد شـباباً
وضحت سوالف جيدها سوسانة ... وتـورّدت أطرافهـا عنّابـا
وترنمـت حتّـى سمعـت حمامـةً ... حتّى إذا حسدت زجرتُ غرابا
بـين النُّجـوم قـلادةً تحـت الظّـلا ... م عمامـةً خلـف الصّباح نقابا

وكان للجواري المغنيات دور بالغ الأهمية في مجالس الغناء، فقد أتى الشعراء الأندلسيون على ذكرهن، وأنشدوا الأشعار في جمالهن ومحاسنهن، ورقة أصواتهن؛ قال ابن خفاجة[103]:

وفتـاة حُسـن كلـهًا أعجـاز ... غنّـت غنـاءً كلُّـهُ إعجـازُ
لـذّت أَغانِيهـا وخفّـت موقعـاً ... فكأنّمـا تطويلـها إيجـاز

وارتبط فن الرقص على أنغام الموسيقى بمجالس الغناء والطرب في الأندلس ومن الصعب أن تتعرف إلى جماعة تحترف الرقص دون مصاحبة الغناء والموسيقى ويعتبر الرقص من مكملات مجالس الغناء في الأندلس، فهو ينطلق بالمشاعر في آفاق رحبة، تعبر عن رغبة النفس البشرية، وتؤكد على حب أهل الأندلس للغناء والرقص.

ووصف الشعر الأندلسي نوعاً من الرقص، دل على براعة متناهية وأداء جميل يقوم به راقص بارع، يؤدي رقصته بتحريك أكمامه في اهتزازات متتابعة لطيفة، ثم يلتقط الزجاج بذيل ملابسه خلال انسيابه في رقة وهذه

الحركات تبعث الدهشة في الحضور، وتنال الإعجاب، قال الشاعر يحيى بن بقي[104]:

نادمتـهُ سـحراً فـأقنع مسـمعي ... بترنُّـم كترنُّـم الورقـاءِ
وكأنمـا أكمامـه في رقصـته ... تـتعلَّمُ الخفقـان مـن أحشـائي
ويمـرُّ يلـتقط الزجـاج بذيلـه ... مـرَّ النسـيم علـى حبـاب المـاء

وإذا كان الشعراء قد صوروا حركات الراقصين، وبراعتهم، وإعجابهم بأنفسهم والحضور فيهم، فإن الشاعر أبا بكر محمد بن قزمان (ت 554هـ) كان هو نفسه راقصاً بارعاً، وقد أذهل المشاهدين في مجلس رقص بحركاته البارعة بتحريك أكمامه بسرعة خاطفة، تدل على براعته متناهية في الرقص وقد غلبت عليه الراح، إذ يقول[105]:

يأهل ذا المجلس السّامي سـرارته ... ما ملت لكنني مالت بـي الـرّاحُ
فإن أكن مطفئـاً مصباح بيـتكم ... فكلٌّ من قد هواه البيت مصباح

ويصور لنا الشعر براعة الرقص في الأندلس، وتنوع حركاته، والتفنن به فهذا الشاعر أبو علي حسن بن الأنصاري ت (604هـــ) يصف لنا راقصة ماهرة في نزهة وتعرف بتخط الشوق من حيث رشاقتها في الرقص وتشبيهها إذا استقامت بالألف، وفي النون إذا انثنت تقوساً وانحناء[106]:

"تخط" يخط الشوق في القلب شخصـها ... ففي كـل مـا تأتيـه حسـن وتحسـينُ
وليت تطيـق "الشـين" في حـال نطقهـا ... فمن أجل بعد الشين باعدها الشين
إذا رقصـت أبصـرت كـلُّ بديعـة ... تـرى أنفـاً حبنـا وحبـاً هـي النـون
فيـا نزهـة الأبصـار سمّيـت نزهـةٍ ... لكـي يوضـح المعنـى بيـانٌ وتـبين

قال الدكتور عبد الرحمن الحجي: "ورقصهم الحالي هو بعينه الرقص العربي بما[107] فيه من خفة الراقصات، ورشاقتهن، والتفنن في الحركات جئية وذهاباً.

وقد أدى ازدهار فن الموسيقى والغناء في الأندلس إلى تعدد الآلات الموسيقية التي تستخدم في العزف، وقد ذكر الشقندي في رسالته ما نصه: ((وقد سمعت ما في هذا البلد من أصناف وأدوات الطرب كالخيال[108]، والكريج[109]، والعود والروطة[110] والرباب[111]، والقانون[112]، والمؤنس، والكثيرة، والغناء، والزلامي[113]، والشقرة والنورة، وهما مزماران الواحد غليظ الصوت، والآخر رقيقه، والبوق[114]))[115].

لقد وجدت براعة الضاربين بالآلات الموسيقية ومحاسن العازفين في مجالس الغناء طريقها إلى الشعر الأندلسي، وأدت هذه الألحان إلى أثر محبب في نفوس الشعراء، وفي الشعر الذي تحدث عن مجالس الغناء بالوصف.

ومن أشهر الموسيقيين الذين ضمتهم مجالس الغناء وحفلات الأعراس، ابن باجة إذا شهد خصمه الفتح بن خاقان بأنه أقام سوق الموسيقى، ويقول عنه ابن سعيد أيضاً: هو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق[116].

وعرف منهم أيضاً إسحاق بن سمعان، وكان يهودياً من قرطبة وصديقاً لابن باجه واشتهر بتأليف الألحان من كل الأساليب[117].

واشتهر زامر آخر في عصر الموحدين اسمه حسن، وقد أطرف السمار في مجلس ابن سعيد وشيعته[118].

ووصف الشاعر الأندلسي، الآلات الموسيقية، وصف معجب بها. فهذا الشاعر محمد بن اسعد بن شرف الجذامي ت (650هـ) يتحدث عن عود مقارناً بين حالتين حالته حين كان فرعاً أخضر تتغنى عليه الطيور، وحالته بين يدي الغانيات، وفي كلتا الحالتين كان مبعث فرح وسرور[119].

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي   زكت منه أعراقٌ وطابت مفـارس
تغنّى عليـه الطّـيرُ والعـود أخضـر   وغنّت عليه الغيـدُ والعـود يـابس

وقال أيضاً(120):

يا عود من أيّة الأشجار أنت فـلا   جفـا ثراهـا ولا أغصـانها المـاء
غنّى القيـان عليهـا وهـي يابسـةٌ   بعد الحمام زماناً وهـي خضـراءٌ

4.1 العادات والتقاليد:

1.4.1 الزواج في الأندلس

كان من عادات الزواج وتقاليده في الأندلس الحق للمرأة في القبول والرفض للرجل الذي يتقدم لخطبتها، ونجد هذه العادة أو التقليد واضحة عند نزهون القلاعي الشاعرة، فقد أكدت حقها في رفض رجل مشوه تقدم إليها، ويذكر أن حبه لها قاده إلى خطبتها، وكانت سريعة البديهة؛ فقالت في ذلك(121):

عَـذيري مـن عاشـقٍ أنـوكِ   سـفيه الإشـارة والمنـزعِ
يـرومُ الوصـال بمـا لـو إنـي   يـرومُ بـه الصـفْعَ لم يُصـفعَ
بـرأسٍ فقـيسٍ إلى كيّـه   ووجـهٍ فقـيرٍ إلى برقـعِ

على حين كانت هناك شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعراً، وقد نظرت في يوم في المرآة، فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزوج، ولم تتزوج فقالت:

أرى رَوْضةً قد حان منهـا قِطافُهـا   ولسـتُ أرى جـانٍ يمـدُّ لهـا يـدا

فوا أسفاً يمضي الشباب مضيّعاً ويبقى الذي ما إن اسمّيه مُقردا

ويروى أن أباها سمعها وهي تنشد هذه الأبيات، فنظر في تزويجها[122].

ووجدت الفكرة الإسلامية القائلة بضرورة تخير الكرام من النساء لولادة النجباء من الأبناء، كانت سائدة في المجتمع الأندلسي، ونراها عند الشاعر أحمد السياني المري[123]:

مـن يُـزَوِّج كريمـة الهمّـة العليـا عُلـوّاً فقـد أجـادَ الخيـارا
ستريه عند الولادة بنيهـا العلـم والحلـم والأنـاة كبـارا

وعلى الرغم من أمر الاختيار والخطبة، فقد كانت عادات الزواج في الأندلس تشبه ما في باقي البلاد الإسلامية، إذا كانت تبدأ بمناقشة المهر، وبعدها يتفق على تحديد موعد الزفاف، ومن ثم تبدأ الحفلات المبهجة والأفراح التي تدوم أسبوعاً كاملاً[124].

ومن عادات الزواج عند الأثرياء، كانت تبذل النفقات الطائلة، ويدعى إليها الجم الغفير من علية القوم، فحينما خرجت العروس فاطمة من إشبيلية مزفوفة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف، لم يعهد الناس مثل ذاك اليوم لهواً ونعماً[125].

ومن عادات الأندلسيين المغالاة في إعداد بناتهم للزواج، وهذا واضح عند ابن سارة (517هـ) الذي افتقد ابنة له بالموت بعد أن بلغت سن التزويج، فتظاهر بالارتياح في سخرية وتهكم لأنه تخلص من هموم إعداد الفتاة للعروس[126]:

ألا يـا مَـوْتِ كُنْـتَ بنـا رؤوفـاً فجّـدّدت الحيـاةَ لنـا بِـزَورَه

حمـــاد لفعلـــك المـــأثور لمّـــا   كَفَيــتَ مَؤوُنــةً وســترت عــوره
فَأَنْكحنــا الضــريحَ بغــيرِ مَهْــرٍ   وجهزنــا الفتــاة بغــير شَــوْرَه

وعلى الرغم من المبالغة في إعداد بناتهم للزواج، كانت من عاداتهم وتقاليدهم أيضاً المبالغة في المهور العالية، فهذا الشاعر أبو القاسم السهيلي (580هـ) يتقدم لمواطنيه بالنصح في أن يتجنبوا المغالاة في المهور، حتى لا يؤدي إلى بوار الفتيات:

المَهــرَ مَهْــرَ العُــرس لا تغلــه   فإنـــه مهمـــا غـــلا مَهْرمَـــه
مــن دَمَــه صــان يحــرز التّقــى   لم يخْــش مــن كــوم ولا مندمــه
أب لمتــى إلى الرّضــا واقتســم   مالي معي إنْ شئت كالأبله[127]

وكان من تقاليد العرس ارتداء العروس أفخر الملابس، ويبدو أن هذه الملابس كانت تميل إلى الألوان الزاهية الجميلة المميزة من الحمرة والصفرة، وهذا واضح عند ابن سارة، من خلال وصفه للرياض، فقد تعرض لوصف العرائس مكتملات الزينة والمرتديات أزهى الملابس.

أمّــا الريــاضُ فــإنّهنَّ عــرائسٌ   لم يحتجبن حَذارَ عيْن الكـالي[128]
جـاد الربيـعُ لهـا بنقـدِ مهورهـا   دفْعاً ولم يبخـلْ بـوزن الكـالي[129]
تثني الصبّ منها أكـفٌ زبَرَجـدٍ   منظومـــةً أطواقُهـــا بلآلـــي[130]

ومن عادات أهل الأندلس عدم السماح للمرأة بالخروج إلا في مناسبات معينة كالأعياد والصلوات، وارتياد الحمامات الخاصة بالنساء، وغيرها من المناسبات الضرورية، وقد نادى الشاعر أبو عبد الله بن مصادق الرندي بضرورة التمسك بهذا التقليد الذي تمثل صيانة المرأة[131]:

أمنــع كرائمــك الخــروج ولا / تظهــر لــذلك وجــه منبســطِ
لا تعتــبر مــنهنّ مســخطةً / نيـلُ الرضـا في ذلـك السـخط
أولســنَ مثــل الــدّرّ في شــبهٍ / والـدُّرّ مـن صـدفٍ إلى صـفطِ

وحدد الشاعر أبو بكر محمد الأبيض في عصر الطوائف والمرابطين للمرأة إذا اضطرت للخروج الأسلوب الأمثل لحركتها، من التزام الحذر، والتصنع، وإلقاء التحية على نحو خاص، وقد قدم هذه النصائح الاجتماعية في أبياته التالية[132]:

كـوني علـى حـذرٍ فـإن عـداتّنا / ترقبونـبـك بالمكــان البلقــعِ
فــإذا لقيــت ســراتهم فتقنعــي / حذراً على خلق الهمـام الأروعِ
لفّـي بنانـك بـالردّاء وسـلّمي / تكفي الكـريم إشـارةٌ بالإصـبعِ

2.4.1 الأعياد والمناسبات:

لقد كان للأندلسيين عاداتهم وتقاليدهم في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية المختلفة، مثل: عيد الفطر، والأضحى، والنيروز، وغيرها من المناسبات الأخرى، وسوف نتناول أهم عاداتهم وتقاليدهم في هذه المناسبات.

بالنسبة للتطلع لهلال رمضان، فقد جرت العادة أن يخرج الرؤساء والأعيان لهذا الغرض، كما حدث مع الوزير أبي الحسن بن سراج ومعه لمة من أعيان قرابة[133]، وها هو الشاعر أبو الحسن عبد الكريم بن فضال الحلواني يفصح عن مشاعر المسلمين بضرورة التوبة وهجر الملذات بعد رؤية الهلال:

قالوا: غداً رمضـانُ فاسـتعدّ تقـي ... ونُبْ على الصوم واهجر لذّة الكـأسِ
إن الهلال يُـرى حتمـاً فقلـت لهـمْ ... حييـــتم بشـــتاتٍ بـــين جُـــلاس
فقال لـي الغيمُ: لا تحفـل بقـولهم ... علـيّ سـترته فاشـرب بـلا بـاس
فقمـت أعثـر في ذيـل الجـون إلى ... جمع المسرّة بين الكـاس والطـاسِ(134)

وفي نهاية الصوم كان الناس يأخذون في التطلع لهلال شوال، وقد سجل الشعراء العشاق هذه العادة الدينية بأجمل الصور من خلال عقد موازنة بين الهلال ومحبوبة وتبنى الأمر بتفوق المحبوبة بهاءً وجمالاً. فحين حضر الشاعر أبو بكر بن مالك مع محبوبته لارتقاب هلال شوال فأعمى على الناس ورآه محبوبه فقال(135):

توارى هلالُ الأفق عن أعين الـورى ... ولاحَ لمـن أهـواه منـهُ وحيّـاهُ
فقلـت لهـمْ لم تفهمـوا كنهـهُ وسـرّهِ ... ولكن خذوا عـني حقيقـة معنـاهُ
بـدا الأفـقُ كـالمرآة راق صـفاؤه ... فأبصـر دون النـاس فيـه مُحَيَّـاهُ

وكان من تقاليد العيد صلاة العيد، فكان إقبال الناس على أداء صلاة العيد بصورة أثارت وجدان الشاعر محمد بن عبد الله الأشبيلي ت (543هـ) عندما نظر يوم العيد ورأى كثرة الناس في المسجد احتفالاً وتضرعاً فأنشد قائلاً(136):

إليـكَ إلـهُ الخلـق قـاموا تعبـداً ... وذلوا خضوعاً يرفعون لك اليـدا
بإخلاص قلب وانتصاب جـوارحٍ ... يخـرون للأذقـان يبكـون سـجداً
نهـارهم ليـلٌ ولـيلُهم هـدى ... وديـنهم رعـى، ودنيـاهم سـدى
فيا الحكم اللائـي تولـت نظـامهم ... وبـالبنين اللائـي أرادتهـم الهـدى
أزِلْ حسـد الحسـادِ عـني بكبـتهم ... فأنت الذي صـيرتهم لـي حسـدا

ومن عادات الأندلسيين وتقاليدهم في عيد الأضحى ذبح خروف العيد، حتى لدى الفقراء الذين لا تسعفهم القدرات المالية، ويبدو كذلك، من خلال أبيات الشاعر أبي بكر بن أحمد بن محمد الأبيض عادة تقديم الخمر مع الخروف في العيد استكمالاً للمتعة(137):

أتتك الخمرُ يا عيد الأضاحي ... كأن شعاعها قيسٌ مُليحُ
فلا تسأل عن الحجّاج ماذا ... تعالج والمطيُّ بها رزيحُ
ولكن عن كؤوسٍ مُترعاتٍ ... كأنّ سريّ شاربها نضيحُ
وقد أعددتهُ ذبحاً كريماً ... ليومك والزمانُ به شحيحُ
زعيم حظيرة من آل ضأن ... لهُ في قومِهِ نسبٌ صريحُ
ترى أوداجهُ تُبدي نجيعاً ... كأنّ ضحى النهارِ بهِ جريحُ
وكأن غنيمةٌ لأمير قوم ... مسالكُهُ إلى الغارات فيحُ
أصمّم في الصراطِ عليه شراً ... كأنّي فوقَهُ بَطَلٌ مشيحُ
أفوتُ بهِ السوّابق وهي تجْري ... بشدّةِ جَهْدها، وأنا مُريحُ

وقد جرت العادة في يوم النيروز "وهو أول أيام الربيع" أن يصنعوا الحلوى في صورة مدائن ذات أشكال جميلة، وقد قال الشاعر أبو عمران الطيرياني ت (604هـ) لما دخل يوم النيروز إلى بعض الأكابر وعادتهم، أن يصنعوا في مثل هذا اليوم مدائن من الحلوى لها صور مستحسنة، فنظر إلى صورة مدينة فأعجبته فقال له صاحب المجلس: صفها وخذها فقال وصفاً هذه المدينة ومتحدثاً عن أيدي العذارى الناعمة التي صنعتها:

مدينةٌ مسورة ... تحار فيها السحرة
لم تبنيها إلا يد ... عذراء أو مُخدرة

بـــدتْ عروســـاً تُحتّلـــي مـــن درقـــكٍ مزعفـــرة
ومـــا لهـــا مـــن مفـــاتيحٍ إلاّ البنـــان العشـــرة[138]

وقد أشار الشاعر ابن سارة خلال مدحه للأمير أبي بكر بن إبراهيم إلى عادة إيقاد النيران ليلاً. ابتهاجاً بهذه المناسبة:

في شـــارقٍ أبـــرزَ مشـــبوبةٍ أشـــرقَ فيهـــا ليـــلُ مَشْـــتاتهِ[139]

وأشار أيضاً إلى عادة تقديم التهنئة في مثل هذه المناسبة إلى أعيان الدولة:

وأشــرفَ الــنّيروزُ فاستْشــرَقتْ لــي الأمــاني نَحْــوَ عاداتــهِ[140]

3.4.1 الرياضات المختلفة:

وقد كانت من العادات والتقاليد التي انتشرت عند الأندلسيين ممارسة الرياضات المختلفة من صيد وسباحة وغيرها، وكان لممارستها متعة وبهجة عند الأندلسيين، ومن هذه الرياضات، رياضة اللعب بالصولجان، التي انتشرت عند الأندلسيين وكانت رياضة ممتعة، وقد عقد ابن سارة مشابه بين ثمار النارنج ولعبة الصولجان والكرة، وبين الغصون التي تحركها الرياح، وبين عصا الصولجان والكرة التي يوجهها اللاعب بمهارة فقال[141]:

كرات عقيقٍ في غصـون زبرجـدٍ بكفّ نسيم الريح منها صـوالج

والأندلس بطبيعتها الجميلة ذات الأنهار والمياه الكثيرة مكان مهم لتعلم فن السباحة حتى أصبحت عادةً وتقليداً عند الأندلسيين، ومن الأبيات التي

تصور هذه الرياضة أبيات (ابن خفاجة) يصف شاباً جميلاً بارعاً في السباحة وكيف يعبر الخليج ويشق الماء بروعة وإتقان؛ فيقول[142]:

وصقيل إفرند الشباب بطرفه ... سقم وللعضب الحسام ذباب
يمشي الهويني نخوةً ولربما ... أطرته طوراً نشوةٌ وشباب
شتى المحاسن للوضاءة ريطةٌ ... أبداً عليه وللحياء نقابٌ
وبمعطفيه للشبيبة منهل ... قد شق عنه من القميص سراب
عبر الخليج سباحة فكأنما ... أهوى يشق به السماء شهاب

وقال ابن الزقاق أبياتاً في وصف غلام يسبح، وقد انشغل في وصف جمال الغلام، أكثر من اهتمامه بقدراته ومهارته في فن السباحة؛ إذ يقول:

جال طرفي بجدول ... حاؤه كالسجنجل[143]
سابحٌ فيه أغيدٌ ... تخطه بخط مغزل[144]
خلته إذ بدا به ... قمراً في مكلل
بات تغشاه غيمة ... تارةً ثم ينجلي[145]

وقد بقيت هناك أشعار كثيرة تتحدث عن هذه الرياضة أو العادة من حيث أدواتها وفرائسها، وقد اعتمدوا على الكلاب والبازي في صيدهم.

وأروع ما قيل من شعر في هذه الرياضة أبيات لابن خفاجة يصف بها كلب صيد من حيث قدرته على التعرف على فرائسه، وطول عنقه المطوق بالبياض ويحمل صفة الطائر بسرعة انقضاضه على فرائسه؛ فقال[146]:

وأخطل لو تعاطى سبق برق ... لطار من النجاح به جناح
يسوف الأرض يسأل عن بنيها ... فتخبر أنفه عنها الرّياح
أقبُّ إذا طردت به قنيصاً ... تنكب قوسه الأجل المتاح

أضـــل برأســـه ليـــلٌ بهـــيمٌ　　فشـــدَّ علـــى مخنقّـــه صـــباح

لقد كان الأندلسيون يحملون موتاهم في توابيت معدة لهذا الغرض، وكانت هذه النعوش تحمل على أكتاف الرجال، وهذا واضح من خلال أبيات ابن الزقاق بأن الأحباب كانوا يتهادون حمل نعش أخيه في إعزاز، وبذلك يؤكد فكرة حمل النعوش:

يا حـاملين الـنعش أيـن جيـادهُ　　يا ملبسيه الترب أين الـلام[147]

ومن عادات الأندلسيين وتقاليدهم أيضاً البكاء على الميت بكثير من اللوعة والعويل وخاصة النساء، فهذا ابن الزقاق يسجل لنا صورة بكاء على أخيه، بأجمل الصور من حيث تعداد مناقبه، ووصف العويل عليه فيقول[148]:

كثـر العويـلُ عليـه بعـد نعيـةٌ　　حتـــى كـــأنَّ العـــالمين حمـــامُ
وحكت دموع الغانيات عقودهـا　　لـو لم يكـن بعقـودهن نظـام
قم تبصر الخفرات حوالك حُسّراً　　لـــو كـــان يمكنـــه الغـــداة قيـــام
ضجت لمصرعك النّوادب ضّجةً　　ســـدت مســـامعها لهـــا الأيّـــام
ســرُّ الغمـام علـى ثـراك محّييـاً　　فعلـــى الغمـــام تحيّـــةٌ وســـلام
واسمع عويل بكائها فلقد بكـت　　لبكائهـــا الأصـــواء والأعـــلام

ومن عاداتهم أيضاً النقش على شواهد القبور، وتكون هذه النقوش أبياتاً شعرية للوعظ، وقد طلب ابن خفاجة أن تكتب هذه الأبيات على قبره[149]:

خليلـيَ هـل مـن وقفـة لتـألُّم　　علـى جـدثي أو نظـرة لترحُّـم

خليليَ هل بعد الرّدى من ثنّية / وهل بعد بطن الأرض دار مخيم
وإنا حيينا أو ردينا لأخوة / فمن مرَّ بي من مسلم فيسَّلم
وماذا عليه أن يقول محيياً / الأعم صباحاً أو يقول الا أسلم
وفاءً لأشلاء كرمن على البلى / فعاج عليها من رفاق وأعظم
يردّد طوراً آهة الحزن عندها / ويذرفُ طوراً دمعة المترحمّ

5.1 المجالس الأدبية:

ليس هناك ما يشير إلى وجود مجالس أدبية انعقدت في بداية عهد المرابطين أيام يوسف ابن تاشفين، ولعل السبب يعود إلى الدعوى الدينية التي قامت عليها الدولة المرابطية في الأندلس وانشغالهم بالجهاد، وعدم تشجيع الأدباء والشعراء.

ولكن الأمر اختلف بعد ذلك، فقد كان لتشجيع الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أبلغ الأثر في ظهور المجالس الأدبية التي انتشرت فيما بعد وشارك فيها الخاصة والعامة على حد سواء.

وغالباً ما كانت هذه المجالس تعقد في قصور الخلفاء والأمراء والأعيان، أو في المساجد ومعاهد الغلم، ودور المعرفة، بل وقد انعقدت هذه المجالس في أحضان الطبيعة، وكان يدعى لها أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المجالس تعد مظهراً من مظاهر حب الأندلسيين للعلم والإقبال عليه، فهو أفضل زينة وأجل مكتسب، وقد حرض الشاعر مرج الكحل على العلم والتعلم؛ فقال[150]:

تعّلم إن تشأ عزاً / فكل جهالةٍ ذلةٍ
فكم باكٍ على وزرٍ / بعينٍ منه منهلةٍ
وريثما ينزل إذاً / أراد إزالة الزلةِ

وهـــل تشـــفى بـــلا علـــم نفـــوسٌ هـــن معتلـــةُ
طبيـــب المـــرء علتـــه إذا لم يعـــرف العلـــة

وكان من أشهر جلاسه "الأعمى التطيلي" اليكّي، محمد بن عبد الرحمن القعلي[151]. وقد دخل المجلس القاضي أبو الحسن بن أضحى فلم ينهك به أحد، فأنزل حيث انتهى به المجلس، فحضر هذان البيتان فأستأذن الأمير في إنشادهما، فأذن له؛ فقال[152]:

نحن الأهلة في الظـلام الحنـدس حيث احتللنا ثم صـدر المجلـس
أن يبخل الـزمن الخـؤون بعزنـا ظلماً فلم يـذهب بعـز الأنفـس

وقد ذكرت المصادر الأندلسية أن الأمير علي بن يوسف بن تاشفين كان يرتاح للشعر وينبسط إلى أهله، ويعنى بمجالس الأدب[153].

ومن الواضح أن بلاطات الأمراء والوزراء والأعيان، بل بيوت الخاصة والعامة كانت تموج بنشاطات أدبية ثقافية واسعة، وكانوا يثيرون فيها قضايا أدبية ونقدية مختلفة، ويتناظرون حولها.

وقد عرف عن الوزير أبي بكر بن سعيد حبه للعلم والأدب، فقد كان له مجلس خاص يرتاده أغلب الشعراء والأدباء، وتعقد بينهم مناظرات أدبية ومن هذه المناظرات ما كان يدور بين الشاعرة نزهون وأغلب الشعراء الذين يحضرون هذا المجلس[154].

وقد حرص الشاعر أبو بكر المخزومي الأعمى على حضور مجلس الوزير، وكان المخزومي فيما يصفه لسان الدين بن الخطيب "أعمى شديد الشر معروفاً بالهجاء "وقد دخل المجلس وحين استقر به المقام فأعجبته رائحة

الند والعود، والأزهار، فأثارت قريحته الشعرية، التي كانت تأتي عفو خاطر كبار الشعراء في مثل هذه المنتديات الأدبية؛ فقال[155]:

دار السعيدي ذي أم دار رضوان ... ما تشتهي النفس فيها حاضرٌ داني
سقت أباريقها للندّ سحب ندى ... تحدي برعد وأوتار وعيدان
والبرق من كل ساكب مطراً ... تحيا به ميتٌ أفكار وأشجان
هذا النعيم الذي كنّ نحدثه ... ولا سبيل له إلا بآذانَ

وكانت مجالس الأدب في الأندلس ميداناً لامتحان سرعة البديهة، وحضور القول والقدرة على الارتجال، والإحاطة بالمعاني، وانتقاء الألفاظ، فقد أتى الأمير الأعدل (أبو محمد عبد المؤمن) بأسد وزرزور يتكلم، فأحضرا بين يديه، فلما بصر به الأسد أقبل حتى ربضه بين يديه وجعل يبصبص كما يفعل الكلب، وتكلم الزرزور بكلام حسن، ودعا للأمير، فقال أبو علي بن الأشري وكان حاضراً في المجلس[156]:

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد ... ورأى شبه أبيه فصد
ودعا الطائر بالنصر لكم ... قاضياً كلمة لما وفد
أنطق الخالق مخلوقاته ... بالشهاداتِ فكلٌ قد شهد
انك القائم بالأمر له ... بعدما طالَ على الناس الأمد

وانتقلت هذه المجالس إلى أحضان الطبيعة لتعقد فيها، ويتبارى الشعراء بقصائدهم، وراحوا ينشدون الشعر على البديهة، كهذه المجالس التي كان يعقدها الشعراء، فقد اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والأستاذ أبو العباس ابن سارة في يوم جميل، وقد اتخذا من الطبيعة موضوعاً لمجلسهما، وتباريا في القول[157]:

فقال ابن سارة:

هـذي البسـيطة كاعـبٌ ابرادهـا حلـل الربيـع وحليهـا النـوار

فقال ابن القبطرنة:

وكـأن هـذا الجـوّ فيهـا عاشـقٌ قـد شـفَّه التعـذيب والإضـرار

فقال ابن سارة:

فإذا شـكا فـالبرقُ قلـبٌ خـافقٌ وإذا بكـى فدموعـه الأمطـار

فقال ابن القبطرنة:

مـن أجـل ذلـة ذا وعـزة هـذه يبكي الغمام وتضحك الأزهـار

وانتشرت المجالس الأدبية التي كانت تعقد في أحضان الطبيعة في عهد المرابطين والموحدين، وقد سجل الشعراء كل ما يدور فيها، ولا بأس من الاستشهاد بأنموذج آخر من هذه المجالس، وكان أبو عبد الله بن عائشة البلنسي مع ابن خفاجة في مجلس أهل الأدب تحت دوحة خوخ منورة، فهبت ريح أسقطت عليهم بعض زهر؛ فقال ابن عائشة ارتجالاً[158]:

ودوحـةٍ قـد علـت سمـاءً تطلـع أزهارهـا نجومـا
هفـا نسـيم الصـبّا عليّهـا فخلتهـا أرسـلت رجومـاً
كأنمـا الجـو غـبار لمّـا بـدت فـأغرى بهـا النسـيما

الفصل الثاني:
المرأة في الشعر الأندلسي

الفصل الثاني: المرأة في الشعر الأندلسي

1.2 تمهيد:

تكاد الدراسات الأدبية تجمع على مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي، والدور الذي نهضت به في حركة ذلك المجتمع: شاعرة، ومعلمة، وفقيهة، وقاضي... فقد ذكر ابن حزم في معرض حديثه عن خبرته بالنساء، ممارسة المرأة للتربية والتعليم حيث قال "وهن علمنني القرآن وروينني كثراً من الأشعار، ودربنني في الخط"[159].

وتحدث ابن حزم عن "صنوف النساء العاملات ذوات الصناعة، والحرف اللائي عقدن الصلات الاجتماعية مع الناس، ففيهن، الطبيبة، والحجامة، والسّراقة (المدلّكة)، الدلالة، والماشقة، والنائحة، والمغنية، والكاهنة، والمعلمة والصنّاع في الغزل والنسيج[160].

كما أصبحت المرأة تتجاوز في أعمالها الواجبات المنزلية، فتساهم في الحصول على القوت داخل البيت وخارجه... يذكر لنا ابن بسام أن أمّ الشاعر الأندلسي المعروف (ابن اللبانة) كانت امرأة عاملة مجدة، أخذت على عاتقها إعالة أولادها ببيع اللبن.

وقد بلغت في عصور الأندلس المختلفة "كثيرات منهم في العلوم والآداب وساجلن الرجال في ميادين الشعر والعلم والفن، وكثرت الجواري... وزادت العناية بتهذيبهن وثقافتهن، فكنّ يدرسنّ بجوار الغناء والموسيقى، علوم اللغة والطب وعلم التشريح وعلم الطبيعة"[161].

وكانت المرأة الأندلسية تلتقي الرجال في ساحات الدرس، وفي مجالس السمر وكانت تخرج إلى المساجد، والأسواق، والمنتزهات، والحدائق العامة،

كما شاركت الرجل في مجالات الحياة المختلفة، وأسهمت في صياغة مجتمع أندلسي يمكن أن نسميه مجتمعاً غير متملق [162].

وبلغت المرأة في عصر المرابطين والموحّدين شأوا عظيماً، وكان لها نفوذ واسع في الحياة الاجتماعية، فكانت عند المرابطين، تشترك في مجالس القبيلة، وتشارك في الأمور الهامة [163]، فقد سمح يوسف بن تاشفين لزوجته بمشاركته في إدارة شؤون الحكم [164].

كما أسهمت المرأة الأندلسية في حل القضايا المستعصية على القضاة، فعندما كان قاضي مدينة لوشة تستعصي عليه حلّ بعض القضايا كان يستنجد بزوجه [165].

وكان الرجل منهم ينسب لأمه، وفي ذلك يقول النويري في كتابه نهاية الأرب: "جميع الملثمين ينقادون لأمور نسائهم، ولا يسمون الرجل إلا بأمه، فيقولون ابن فلانة، ولا يقولون ابن فلان [166].

وكان للمرأة المرابطية نفوذ كبير في الدولة، من ذلك أن زينب بنت إسحق النفراوية زوج أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كانت ذات سلطة واسعة، وكان زوجها يستشيرها في إدارة شؤون الدولة، ويستمع إلى رأيها، فكانت تولّيّ من تشاء وتعزل من تشاء، فقد أمرت بعزل القاضي زرهون المعروف بابن خلوف عندما بلغها أنه مدح السيدة حواء زوجة سير بن أبي بكر وفضلها على سائر نساء الأندلس، وبقي معزولاً إلى أن أمرت بإرجاعه بعد أن مدحها، وذم السيدة حواء في قوله [167]:

أنـــت بالشـــمس لاحقـــة   وهـــي الأرض لاصـــقة
فمتـــى مـــا مـــدحتها   فهـــي مـــن ســـيرٍ طالقـــة

فضحكت، وكتبت إلى يوسف بردّه إلى القضاء.

وقد مدح الأعمى التطيلي حواء هذه بأبيات أشار فيها بفضائلها التي سبقت بها الرجال، وتفوقت عليهم، وذلك في قوله[168]:

يا أخت خير ملوك الأرض قاطبةً　　وإن أعدّوا وإن أسموا وأن نسبوا
أنثى سما باسمها النادي وكم ذكر　　يدعى كأنَّ اسمهُ من لومه لقب
أما رأيت ند حوّاء كيف دنا　　بالغيث إذا كادَ يأتي دونه العطب
حوّاء يا خير من يسعى على قدم　　ولست عبدكِ إن لم أقضِ ما يجب

لذا فقد قصد الشعراء بعض النساء المرابطيات، وتوسّل بهنّ من له حاجة فقد كتب ابن خفاجة إلى الأميرة مريم بنت إبراهيم يتشفع بها إلى الأمير طاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين بقصيدة مطلعها[169]:

يممت من علياك خير ميمي　　وحللت من مغناكِ دار مخيّم
وكفى احتماء مكانةٍ وصيانةٍ　　أنّي علقتُ بذمةٍ من مريم
ذات الأمانة والديانة والتقى　　والخلق الأشرف والطريق الأقوم
من أسرة يتّلثمون إلى الوغى　　يوم الحفيظة بالعجاج الأقتم
من بيت عزّ من بنال حيث لا　　تلقي بغير مسوّدٍ ومعظم

وتزعمت بعض النساء في عصر الموحدين الحملة على الولاة وأرباب الوظائف المالية فقد ذكرت المصادر أن الشاعرة الشلبية، كتبت قصيدة بعثت بها للخليفة أبي يعقوب المنصور في مصلاه يوم الجمعة، وقد بينت فيها ما حل بأهل بلدتها شلب من صنوف الظلم على أيدي عمال الدولة الموحدية، وما أصابهم من بلاء بسبب عسفهم، وظلمهم، وذلك إذا تقول [170]:

قد آن أن تبكي العيون الآبية　　ولقد أرى انَّ الحجارة باكية
يا قاصد المصر الذي يرجى به　　إن قدر الرحمن رفع كراهية

نـاد الأمـير إذا وقفـت ببابـه يـا راعيـاً إنّ الرعيـة فانيـة
أرسـلتها همـلاً ولا مرعـى لهـا وتركتهـا نهـب السـباع العاديـة
شـلب كـلا شـلبٍ كانـت جنـةً فأعادهـا الطّـاغون نـاراً حاميـة
خافوا و ما خافوا عقوبـة ربّهـم والله لا تخفّـى عليـه خافيـه

وفي المقابل لم تتخلّف النساء الشواعر عن تقديم التهنئة لولي الأمر في المناسبات الدينية والاجتماعية، فقد أرسلت الشاعرة حفصة الركونية إلى الأمير الموحدي أبي سعيد صاحب غرناطة مقطوعة شعرية تمنت له فيها الهناء بعيد الفطر، وذلك إذ تقول [171]:

يـا ذا العُـلا وابـن الخليـ ـفـة والإمـام المرتضـى
يهنيـك عيـدٌ قـد جـرى منـه بمـا تهـوى القضـا

وغالى بعض الآباء بمهور بناتهم مغالاةً كبيرةً، وذلك أن إعدادهن للزواج كان يكلفهم فوق الطاقة، وقد علل المراكشي هذه الظاهرة "بأن أثمان بنات الروم المسبيات في غاية القلة" وأنّ المغالاة في مهور الحرائر على هذا النحو كان وسيلة الترغيب للرجال بها [172]، لذلك فإن ابن سارة تظاهر بالارتياح عندما ماتت ابنته وهي في سن الزواج لأنه تخلص من عبء إعدادها للعرس[173].

وقد اهتم الشعراء بالمرأة من خلال توجيه النصائح الشعرية لهنّ، وإرشادهن إلى السلوك الأمثل[174].

وتقدم بعض الشعراء إلى زوجاتهم بالتهنئة في المناسبات الاجتماعية، فقد كتب عبد الله ابن محمد الرشيد أبياتاً هنأ فيها زوجه بالسلامة بعد أن وضعت له ولداً، حيث قال[175]:

أهينك بل نفسي أهني فإنني   بلغت الذي كان اقتراحي على الدهر
خلاصك من أيدي المنون وغرةٍ   بدت للمعلى مثل دائرة البدر

وكما مدح الشعراء النساء، وتقدموا بالتهاني لهن، فإنهم كذلك عبروا عن أحزانهم عند فقدان المرأة سواء أكانت أما، أم زوجاً، أم بنتا، أم أختاً، ومن الشعراء الذين رثوا أمهاتهم الأعمى التطيلي، فقد رثاها في قصيدة استشعر فيها مرارة الفقد، وعبر عن التقاء الأحزان في فؤاده، مثنياً على خصائصها الحسنة كما في قوله[176]:

هو الحمامُ ولم يضرب له أجلاً   فلا تقل ليتني منه على حذر
يا قبر أمّ علي هل علمت بها   إنّ السيادة بين الشرب والمدد
أنثى ولكن إذا عدوا فضائلها   لم يدع الفضل من أنثى ولا ذكر
تتلو الكتاب ونتلو من مآثرها   آياً كأي، ولم تظلم ولم تجر
قوامة الليل تتلوه وتتقنه   على اختلافيه من طول ومن قصر
حتى إذا الصبح جلى ليلتها فزعتّ   إلى صيام بمرضاة الإله حدي
كأنّ محرابها، والليل معتكرٌ   في هالة البدر بين البيض والعشر

وإذا كانت الأشعار السابقة تدل على الصورة الإيجابية للمرأة الأندلسية في عصر المرابطين والموحّدين، فإن ثمة أشعاراً أخرى تعبر عن مواقف سلبية منها، فقد تذمر ابن سارة الشنتريني من زوجه، حتى إنه تخلص منها بالطلاق، لأنها تتصف بالخبث والنفاق، والتلون مثل الحيوانات كما في قوله[177]:

أمّا الزمان فرقّ لي من طلةٍ   كانت تُطلُّ دمي بسيف نفاقها
الذئبة الطلّساء عند نفاقها   والحية الرقشاء عند عناقها

ومن مظاهر تحرر المرأة الأندلسية أيضاً تفننها في أنواع اللباس والزينة، وكما كان يغلب على الحرائر منهن لبس الحجاب وهو أشدّ وأعنف عندهن من نساء الشرق[178].

2.2 الصورة الجمالية للمرأة الأندلسية:

من الطبيعي أن نجد في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحدين شعراً يتغزل بالمرأة، ويتغنى بمحاسنها، ويعبر عن التعلق بها، والحنين لها، ويصور مشاعر الحب نحوها. وقد كثر هذا الشعر في دواوين الشعراء وفي غيرها من المصادر الأندلسية، سواء أكان يعبر عن تجارب حب حقيقية عاشها الشاعر أم كان ضرباً من التعبير عن الافتنان بالجمال في لحظة من اللحظات.

ولا ريب في أن الذوق الجمالي في الأندلس قد أصابه قدر كبير من التغيير بسبب امتزاج الأجناس واختلاط الدماء، والأعراق، ومن ثم فإنه من المتوقع أن تظهر في المرأة الأندلسية مياسم جمال يتردد صداها في الأدب، ولعل أظهر سمة جمالية تغنى بها الشعراء الأندلسيون شقرة الشعر وزرقة العيون، ولاحظ ابن حزم إعجاب امرأة بني مروان بالنساء الشقراوات، بل إنه نفسه أشار إلى أنه لم يستحسن سوى هذا النمط من الجمال[179].

غير أن هذه السمة الجمالية لا تبدو واضحة في الشعر في عصر المرابطين والموحدين، ومما ورد الإشارة إليها قول ابن سارة الشنتريني[180]:

ومهفهـف أبصـرت في أطواقـه	قمـراً بآفـاق المحاسـن يشـرق
يقضي على المهجاة منـه صـعدةً	متـألق فيهـا سـنانٌ أزرق

فالحبيبة في هذين البيتين بيضاء البشرة، شقراء الشعر، زرقاء العينين.

وإذا ما تجاوزنا هذه السمات الجمالية إلى غيرها فإن الشعراء ظلوا يستمدون أوصافهم للمرأة من معجم اللغة الغزلية التي تداولها الشعراء من قبل على شاكلة قول ابن جعفر السكوني يصف حبيبته وحمرة خديها ولمعان وجنتيها، وتأود قدها، مستعيراً لها صفات الورد، والأغصان والأقحوان؛ إذ يقول: (181):

ولـــو شـــاء أرســـلها وردةً   فـدلّت علـى الـورد للعاشـقين
علـــى أنّ هـــذا وهـــذا معـــاً   يـــدل علـــى خـــدٍّ والجـــبين

وكثيراً ما استسلم الشعراء لأحلام اليقظة وهم يصفون اللقاءات الليلية مع محبوباتهم، وما كان يدور فيها من انتهاب لصنوف اللذائذ والمتع، كما في الأبيات التالية لابن خفاجة، وقد امتزجت فيها أوصاف الحبيبة بجمال الطبيعة:

يـــا ربَّ ليـــلٍ بتـــهّ   وكأنـــه مـــن وصـــف شـــعرك
تنهـــلّ مزنـــةُ دمعـــتي   فيـــه وينـــدى نـــورُ ذكـــرك
وشـــرقتُ فيـــك بعـــبرةٍ   قـــد وردَّتهـــا نـــارُ هجـــرك
فكأنمـــا يـــنقضُ عـــن   حبـــب بهـــا رُمَّـــان نحـــرك
ولـــرُبَّ ليـــلٍ قـــد صـــدعت   ظلامـــه بجـــبين بـــدرك
ولهـــوتُ فيـــه بـــدرّةٍ   مكنونـــةٍ في حـــق خـــدرك
تنـــدى شـــقائق وجنتيـــك   بـــه وتـــنفح ريـــح نشـــرك
وقـــد اســـتداد بصـــفحتي   سوســـان جيـــدك طـــل درّكِ
حيـــث الحبابـــةُ دمعـــةٌ   تجـــري بوجنـــة كـــأس خمـــرك
وتهـــزُّ منـــك فتنـــثني   بقضـــيب قـــدّك ريـــحُ ســـكرك
وتعـــبٌ مـــن رجـــراج رد   فك موجةُ في شط خصرك(183):

فابن خفاجة مأخوذ في هذه الأبيات بوصف جمال صاحبته مركزاً على مظاهر الفتنة فيها، مقيماً مفارقة واضحة بين الإطار الزماني لهذا اللقاء (الليل) وبين الحبيبة بجمالها الذي اختلط فيه البياض بالحمرة فصدع سواد الليل، ونشر النور فيه، مازجاً بين هذا الجمال وعناصر الطبيعة على نحو آخاذ.

ولا ريب أن مثل هذه الأبيات وغيرها تصور أنماط العلاقات التي سادت بين الرجال والنساء في إطار الحياة الوجدانية، وهي في أغلبها كما يستشف من الشعر، علاقات حسية قائمة على المتعة، وهنا استشهد مرة ثانية بأبيات أخرى لابن خفاجة تطفح بالغريزة النوعية المتوقدة، وتسني برغبات شاعر لا يقف عند حد إذ يقول [183]:

تسافرُ كلتا راحتيَّ بجسمه فطوراً إلى خصر وطوراً إلى نهد
فتهبط من كشحيه كفُّ تهامة وتصعد من نهديه أخرى إلى نجد
وقد ملتُ من تقبيل خدَّ إلى فمٍ أقول بتفضيل القراح على الورد

وتكاد الأبيات التالية التي قالها الشاعر ابن أبي روح من شعراء الموحدين تخرج عن المعنى العام للأبيات السابقة التي قالها ابن خفاجة، وإن الاختلاف بينهما كان في فن الصياغة وأساليب التعبير؛ يقول:

عرِّج بوادي العسل وقف عليه واسأل
عن ليلة قطفتها ضمّا بد غم العذل
أرشف خمر الريق أو أقطف ورد الخجل
وقد تعانقنا اعتنا ق القضيب فوق الجدول
بتنا إلى أن حثنا إلى النّوى برد الحُلى

فلـــــم يهـــــيج بلابلــــــي غنـــــــاء البلبـــــــــل[184]

وأرى أن الأشعار السابقة ربما كانت دالة على أن الذوق الجمالي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين كما عبر عنه الشعر، ظل في إطار متعارف عليه لدى الشعراء في البيئات الإسلامية الأخرى، بل أن خضوع الشعراء لوطأة التقليد وعدم قدرتهم على تجاوز المألوف الفني جعلهم يستعيرون أحياناً، النموذج الطللي لوصف محبوباتهم والتعبير عن لواعج الشوق في نفوسهم حين الوقوف على ديار صواحبهم كما في قول ابن الزقاق البلنسي[185]:

وقفت على الربوع ولـي حـنينٌ لســاكنهن لــيس إلى الربـــوع
ولـــو أنـــي حننـــتُ إلى مغـــاني أحبـــائي حننـــت إلى الضـــلوع

ولا بأس في الاستشهاد هنا بنموذج آخر يبين مدى تمسك الشعراء بالتقاليد الفنية في الوقوف على الأطلال على الرغم من اختلاف البيئات الأندلسية، كما في قول مرج الكحل[186]:

معاهد تذكي حرقة الكبـد الـتي تكابـد مـن آلامهـا مـا تكابـد
كـأن بهـا الغـدران زرق نـواظرٍ بها الظل كحل والغصون مراود

ولعل هذا يشير، بصورة أخرى إلى تشبث الأندلسيين بعروبتهم، وتمسكهم بجذورهم الأولى.

وإذا ما بحثنا، بعد ذلك عن شعر غزلي يتصل بالنواحي الاجتماعية، فإننا نقف هنا عند ثلاثة أمور، مثل زينة المرأة الأندلسية، ومنها القصص الغزلي الشعري، ومواقف الوداع.

أما الأمر الأول فإننا نقف في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحدين على بعض اللقطات التصويرية التي تصف زينة المرأة الأندلسية آنذاك، والأساليب التي كانت تستعين بها في تجملها وإظهار محاسنها، كما في الابيات التي يصف فيها ابن الزقاق محاسن صاحبته، وكيف أنها جاءته معطرة بشذى المسك، وخلعت وشاحها وحليها(187):

وآنسة زارت مع الليل مضجعي فعانقت غصن البان منها إلى الفجر
أسالها أين الوشاح وقد غدت معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار نقلته إلى معصمي لما تقلقل في خصري

ويستشف من الصورة التي رسمها ابن أبي الخصال للورد والترنجان أن بعض العذارى الأندلسيات كن يتخذن مقانع خصراً يسترن بها وجوههن، وذاك في قوله(188):

وردٌ جنيّ طالعتنا خدودهُ ببشرٍ ونشرٍ يبعثان على السكر
وحف ترنجان به فكأنما خدودُ العذارى في مقانعها الخضر

وكان بعضهن يتخذ مقانع سوداء رقيقة تشف عن جمال الوجه ومحاسنه، ولرقة هذا القناع فكأنه لم يسدل على الوجه، كما يقول أبو محمد عبد المنعم بن الفرس(189):

برزتْ بوجهٍ مثل بدرٍ مُكْمل من تحت سترٍ كالظلام المقبلِ
قد رقّ ذاك الستر فوقَ جبينها فكأنه من رِقّةٍ لم يُسْدَلِ
فحبته الماء الزُّلال وقد بدا فيه زُلالُ الحقّ للمتأمّلِ

ووصف ابن الزقاق إحدى الحسان الأندلسيات خرجت من منزلها وقد زججت حواجبها في تقوس يسلب الأبصار، وزينت ترائبها بنجوم حلي تبهر الأنظار، وعطرت جسمها بصنوف الطيب الذي يستثير مشاعر كل من يتنسمه؛ وذلك إذ يقول(190):

فكم ليلةٍ لِيلاء خليّتُ مثلها — من الهمّ في غربيبها المتراكبِ
بكلّ فتاةٍ إن رمتك بسهمها — فعن حاجب تشبيهه قوسُ حاجبِ
تنسمتُ من أنفاسها أرجَ الصبّا — وجنّيتُ علويَّ الصبّا والجنائبِ
وما جنّت الظلماءُ إلا لبستُها — دثاراً على ضافي شعور الذوائبِ
وقد أذهلتني عن نجومٍ سمائها — نجومُ حُلّيٍّ في سماءِ ترائبِ

واهتمت المرأة الأندلسية بالخضاب، واتخذته لتلوين الشعور والأيدي والأظفار، كما يستدل من قول ابن خفاجة(191):

يرمي به الأمل القصي فينثني — مخضوب راء الظفر والمنقار

ويطرفنا ابن الأبار بلقطة تصويرية تبدو المرأة فيها أمام مرأتها تتأمل محاسن وجهها، وتتخذ وسائل الزينة المختلفة، من أقراط وخلاخل إذا ما استكملت ذلك أسدلت خمارها على وجهها وخرجت؛ يقول(192):

تناولت المرآة وهي صقيلة — تأمل وجهها دونه ذلك الصقل
فلما تناهت أودعتها غشاءها — وقد حدث القرطان واستمع الجمل
فشبهتها بدراً علاه خسوفه — فأظلم منه ما أنار له قبل

أما القصص الغزلي الشعري، فقد كثر في عصري المرابطين والموحدين على نحو ملحوظ، حيث كان الشعراء ينظمون بعض قصائدهم في صورة

حكاية فيها الشخوص والأحداث مع الاهتمام بإبراز الحوار وعنصري الزمان والمكان. وربما أن مثل هذه القصص الشعرية الغزلية كانت ذات غايات اجتماعية، ولعل الشعراء كانوا يتداولونها في مجالس سمرهم وأنسهم بقصد التشويق والإثارة وإظهار البراعة الفنية.

ومن الشعراء الذين سلكوا هذا المسلك الأعمى التطيلي في قصيدة ورد جزء منها في ديوانه، في حين أن أبياتها كما ورد في كتاب النفح ثلاثة وثلاثون بيتاً، وقد شكا فيها إلى (أم المجد) التي اتخذها رسولاً بينه وبين صاحبته، معاناته وإهمال صاحبته (لذيذة) له، وعدم اكتراثها به؛ يقول(193):

أشقى بها وهي عني في بلهنية ... شتان، والله بين الجد واللعب

وبعد هذا يدور حوار طريف بين الشاعر وأم المجد تنصحه فيه أن يصارح صاحبته، ويعبر لها عن مشاعره نحوها لعل قلبها يرق له أو يحنو عليه، ولكنه يظهر تهيباً من ذلك، فتتولى هي مهمة استمالة هذه الفتاة وترويضها بأساليبها الخاصة لأنها ذات خبرة بهذه الأمور وهنا ينتقل الحوار ليغدو بين أم المجد والفتاة (لذيذة) لينتهي بإقناعها ولينتهي المشهد وقد انكب الشاعر على يد العجوز يقبلها شاكراً لها؛ يقول(194):

فقالت: أشك إليها ما لقيت ولا ... ترهن فلن تبلغ الآمال بالرهب
عسى هواك سيعديها فينصبها ... وقد يكون الهوى أعدى من الجرب
فقلت أعظمها بل ما أكلمها ... إلا أشار إلى الموت من كثب
قالت أنا أتولى ذاك في لُطُفٍ ... فقد أؤلّفُ بين الماءِ واللهبِ
فقلت مثلُكِ مِنْ يُرجَى لمعضلةٍ ... لا زلتِ في غبطةٍ ممتدَّة الطنب
قالت لها يا لذيذ الحسنِ صاحبنا ... يهفو إليكِ وأضحى جَدّ مكتئب
صلبيهِ أو فاقتليه فالحمامُ لهُ ... خيرٌ مِنْ الجهدِ في جِدّ وفي تعب

فلو تراني قَدْ استسلمتُ مرتعباً   منها حنان الرضى أو جفوة الغضبِ
حتى إذا ما ألانتْ تلكَ جانبها   والقلبُ مهما أرُمْ تسكينهُ تحبِ
طفقتُ ألثمُ كفيّها وقد جَنَحْت   إليّ تضحكُ بين العجب وُالعجبِ

والأبيات، بالإضافة إلى قيمتها الفنية، فإنها ذات دلالة اجتماعية بالغة، فشخصية (أم المجد) التي توسل بها الشاعر للوصول إلى الفتاة (اللذيذة) ليست مجرد شخصية فنية، بل لها أساس من الواقع الاجتماعي، فقد انتشر هذا النمط من النسوة اللواتي يتوسطن بين المحبين في المجتمع الأندلسي، فقد ورد في كتاب (طوق الحماقة): "ويقع في الحب بعد هذا... إدخال السفير، ويجب تخيره وارتياده واستجادته"، وأكثر ما يستعمل المحبون في إرسالهم إلى من يحبونه، إما خاملاً لا يؤبه له ولا يهتدي للتحفظ منه... وإما جليلاً لا تلحقه الظنن لنسك يظهره، أو لسن عالية قد بلغها، وما أكثر هذا في النساء، ولا سيما ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الأحمرين، وإني لأذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيثما رأيتها" ويستمر ابن حزم في الحديث عن دور هؤلاء النسوة في المجتمع الأندلسي قائلا "فكم من منبع سهل بهذه الأوصاف، وعسير يسر، وبعيد قرب، وجموع أنيس، وكم داهية وهت الحجب المصونة، والأستار الكثيفة، والمقاصير المحروسة..."[195]، ويضرب في موضع آخر أمثلة متعددة عاينها ابن حزم واطلع عليها في صباه.

ولا بأس الاستشهاد هنا بنموذج آخر يظهر فيه هذا النوع من الغزل القصصي عند ابن بقيّ الأندلسي؛ يقول[196]:

دخلتُ عليها خيمةً شرفاتها   وأعمدها بيضُ رقاق وخرصان
فقالت: ألصٌ قلت: بل ذو صرامةٍ   تشبّ على أحشائه من منك نيران

إليـك شـقـقت الليـلِ كالسـيل يرتمـي وفيك أسفتُ الهول والهولُ خطبان
فقالت: أقم عندي لك الوصـل كـاملاً علـى أنْ خـط العـين مـني حرمـان

يتحدث ابن بقي عن محبوبته ملكته بحسنها وسحر جمالها، جاءها زائراً وقت انتصاف الليل، وبدى هذا النوع من الشعر وهو الغزل القصصي عندما دخل خيمة محبوبته واصفاً هذه الخيمة بأن شرفاتها وأعمدها بيض رقاق وخرصان، وفي هذه اللحظة يدور الحوار بين الشاعر ومحبوبته بقولها أأنت لص فجاوبها الشاعر بأنه رجل عاشق متيم، جلبه الشوق والحنين الذي يمتلك قلبه، وأن هذا الشوق مثل النار تأكل أحشائه، وفي نهاية الحديث تطلب المحبوبة من الشاعر أن يقيم عندها وتقربه بأن له الوصل كامل وأنها ستغمره بالفرح والسعادة التي جاء يطلبها.

أما الموقف الثالث فإننا نقف في الشعر الأندلسي زمن المرابطين والموحّدين على بعض اللقطات التي تظهر فيها مواقف الوداع بصور جلية. وفي هذا يقول الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عطية(197):

استـودعُ الله مـن وَدّعْتـهُ، ويـدي على فؤاديَ خوفاً من تَصَـدّعهِ
بـرد مـن الـوُدّ حازتـه مغاربـه فالنفس قدْ استخفت طرْفـاً لمطرِ
أتبعتـهُ بعـد تِـوديعي لـه نظـراً إنسـانه غـرقٌ في بحـرِ أدمعِـهِ
ما أوجعَ البَيْنَ في قلبِ الكـريم غـداً يفـارقُ المجـد في تُـوبَيْ مودّعـهِ
يذيقـه الـبينُ تعـذيباً، ويمنعـهُ من أن يطير شعاعاً أسْدُ أضـلعهِ
يسطو به البينُ مغلوبـاً فليس سـوى تململُ في فـراشِ مـن تفجعـهِ

وفي هذا الصدد استشهد أيضاً بأنموذج آخر للوزير الفقيه الحسيب المشاور وهو يتوجع فيه من الفراق، ويصف لنا بعضاً من صور الوداع؛ يقول[198]:

أزف الفـــراق وفي الفـــؤاد كلـــوم ودنـــا الترحـــل والحمـــام يحـــومُ
قــل للأحبــة كيــف انعــم بعــدكم وأنـــا أســـافر والفـــؤاد مقـــيمُ
قالوا: الـوداع يهـيج منـك صبابة ويثير مـا هـو في الهـوى مكتـومُ
قلت: اسمحوا لي أن أفـوز بنظـرة ودعوا القيامـة بعـد ذات تقـومُ

3.2 رثاء الزوجات في الشعر الأندلسي:

إن الدارس للشعر الأندلسي يجد أن رثاء المرأة فيه يحتل مساحة واسعة، فقد بكى الشعراء الأندلسيون زوجاتهم، وارتفعت أصواتهم بالعويل، وذرفوا عليهن الدموع وانقلبت حياتهم من السعادة إلى الحسرة، والحزن...

كما يعتبر رثاء المرأة من أشد أنواع الرثاء صعوبة، وهذا ما أشار إليه ابن رشيق في كتابه "العمدة" إذ يقول "ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة، لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات"[199].

والرثاء معزوفة الحزن على أوتار القلب، وإنشودة الأسى على قيثارة النفس، وهو من أجل ذلك يسمو على الفنون الشعرية، من حيث الصدق" وتفجر الشعور، والعاطفة. كما هو التفجع المخلوط بالحسرة، والتلهف، والأسى على هذا الذي مضى من حيث لا رجعة إلى هذه الحياة الدنيا[200].

كما نظم الشعراء في المرأة شعراً في رثائها، والبكاء على فراقها، وندب الموت الذي حال أو فرق بينهم، فكان شعرهم صادقاً مليئاً بالعاطفة الجياشة التي تعبر عن هذا الموقف الحزين...

ومن أهم الظواهر البارزة في عصر المرابطين والموحدين رثاء الزوجات، وهو رثاء يتسم بالذاتية، ويعتمد على ميل أصيل إلى البوح بعواطفهم، وإظهار قسوة الفراق، وحرقة الفؤاد، على زوال الرقة والجمال، والحياة السعيدة[201].

ولعل خير من يمثل رثاء الزوجات في عصر المرابطين والموحدين الشعراء الأعمى التطيلي، وابن الزقاق، وابن جبير، الذي نسج ديواناً كاملاً في رثاء زوجته (أم المجد) والذي لم يصلنا... بالإضافة إلى العديد من الشعراء الآخرين...

ومن الشعراء الذين رثوا زوجاتهم الشاعر ابن الزقاق البلنسي، فقد رثى زوجته (درة) بقصيدة شحنها بالحزن الموجع، وصور الفراغ الكبير الذي تركته في نفسه... وذلك بقوله[202]:

ويا درُّ ما للبيت أظلمَ كسرهُ ... تراكِ تيممت الترابَ تراكِ
ويا زهرةً أذوى الحمامُ رياضها ... لقد فجعت كفّ الحمامِ رباكِ
سقاك الندى حتى تعودي نضيرةً ... وَمَن للقلوبِ الحائمات بذاكِ
فدتك كريمات النساءِ وربما ... رأينَ قليلاً أن يكنّ فداكِ
وهل دافعٌ عنك الفداءُ منيةً ... أهبّت صباحاً في رياضِ صفاكِ
عزيزٌ علينا أن مضجعك الثرى ... وما ينقضي حتى المعاد كراكِ

كما رثى الشاعر ابن قبطرنة[203] زوجته رثاء صادقاً، معبرة عن عظم فجيعته بفراقها حتى اسود قلبه، وابيضت عيناه من الحزن، وفي ذلك يقول[204]:

يا ربّة القبر فوق القبر ذو حزن ... يرثي له القبر من شجوٍ ومن شجنِ
تباينت فيك أحوالي أسى فمضى ... إلى لقائك صبري طالب الوسنِ

وخالف القلب فيك العين من كمدٍ   فاسود بالغم وابيضت من الحزنِ

ويعتبر الأعمى التطيلي من أشد الشعراء في عصر المرابطين والموحدين، حزناً، وتفجعاً في رثاء زوجته، فشعره ينم عن أسى، وحزن عميق، وعاطفة صادقة، تعبر عن شدة ألمه لفراق زوجته، ويتمنى لو أن صدره قبرها وفؤاده مستقرها، ثم يصف حاله وما آل إليه أمره بعد فراقها، في قصيدة طويلة تعبر عن وفاء الزوج لزوجته، تشتمل على صور بديعة، فيها الأسى والحزن والحسرة، والتنهد على فراق شريكة العمر... ومن هذه القصيدة اخترت هذه الأبيات التي يقول فيها[205]:

ونبئت ذاك الوجه غيّره البلى   على قُربِ عهد بالطلاقة والبشرِ
بكيت عليه بالدموع ولوْ أبتْ   بكيت عليهِ بالتجلّدِ والصبرِ
أمخبرتي كيفَ استقرّت بك النّوَى   على أنّ عندي ما يزيدُ على الخبرِ
وما فعلت تلك المحاسن في الثرى   فقد ساءَ ظنّي بين أدري أولا أدري
يُهوّنُ وَجْدي أن وَجْهَكِ زهرةٌ   وأنْ ثراها مِنْ دموعي على ذِكْرِ
دعيني أعلل فيكِ نفسي بالمنى   فقد خفتُ ألا نلتقي آخر الدهرِ
خذي حدثيني هل أطقتِ على النوى   أحدّثك أني قد ضُعفتُ عن الصبرِ
ووالله ما وفيتُ رُزْءَكَ حقّهُ   ولكنه شيء أقمتُ بهِ عذري
أيا قرَّة العين اعتباراً وحسرةً   أجِدُّك قد أصبحتِ قاصمةَ الظهرِ
هنيئاً لقبرٍ ضمَّ جسمكِ أنّه   مُقِرُّ الحيا أو هالة القمر البدرِ
ولا تعذليني إن أقمتُ فربما   تأخّر بي سعي وأثقلني وِزْري

كما رثى الشاعر عامر بن الحمارة زوجته (زينب) بأبيات يصفها فيها بأنها نجماً قد هوى، وزهرة ذبلت، ولا يجد لنفسه مبرراً للزواج بعدها، فهذا

الوفاء أقل شيء ممكن أن يقدمه الرجل الصادق في حبه لزوجته... إذ يقول[206]:

أَزَيْنَـبُ إنْ طفت فـإنَّ ظهْـراً ... أقلّـكِ سـوفَ تَركبَـهُ المقـيمُ
بأيّـةِ حُجَّـةٍ[207] أسـعى لأنثـى ... سِـواكِ وأنـتِ هامـدةٌ هشـيمُ
ولمـا أن حَلَلْـتِ التّـربَ قلنـا ... لقـد خَلّـتْ مواقعهـا النّجـومُ
ألا يـا زهـرةً ذَبُلـتْ سـريعاً ... أظُـنَّ المُـزنَ أم رَكَـدَ النسـيمُ

كما رثى الشاعر ابن جبير زوجته (أم المجد) بديوان شعري كامل، تظهر في معظم أشعاره العاطفة الجياشة والصادقة، فيذكر مناقب زوجته هذه المناقب الكريمة التي تتصف بها، كما يعبر عن حبه الصادق اتجاه زوجته التي فرق بينهما الموت، ويتمنى لو أنه يستطيع ركب الهوى والوصول إلى ديار وقبر زوجته فيزورها ويبكيها، ومن هذه الأشعار اخترت هذين البيتين وفيهما يقول[208]:

بِسـبتةَ لـي سـاكِنٌ في الثـرى ... وَخِـلٌّ كـريمٌ إليهـا أتـى
فلـو أسـتطيع ركبـت الهـوى ... فـزرت بهـا الحـيَّ والمَيّتـا

وقد رثى ابن سارة زوجته بمجموعة من الأبيات تظهر فيها العاطفة الصادقة الحزينة على فراق الزوج، فالكبد قد تفطر أسى وحزناً على فراقه، فهي مثل النوّارة التي تملأ الأفق بالأريج والراحة الزكية؛ كما في قوله[209]:

تَفَطّـرتْ كبـدُ العليـا للؤلـؤةٍ ... لَمْ يودعْ التّرْبِ إلا مِنْ كرامتهـا
نوّارةٌ مـلأتْ أفـقَ التقـى أرجـاً ... وردّها الدّهر صوناً في كمامهـا

كما يبقى الرجل وفياً للمرأة التي لم تأل جهداً في إسعاده، وإعطاء متعة للحياة، فلا غرابة أن يعزف الرجل عن متع الحياة والدنيا، وملذاتها بعد رحيلها، إخلاصاً لها، هذا ما ترجمه الشاعر أبو محمد بن القبطرنة؛ إذ يقول(210):

معـــــاذَ اللهِ أن أســـــلو ببـــــدرِ وإن أصـبوا إلى كـأسٍ وخَمْـرِ
ولا لأراكـــــةٍ نَهضَـــــتْ بِعِتْـــــو ولا لـــروادفٍ وعظـيمِ خَصْـــرِ
ولا تفاحـــــةٍ طلَعـــــتْ بِخُـــــدٍّ ولا رُمانـــــةٍ نبتَـــــتْ بَصـــــدْرِ
وأن ألهـــو مِـــنْ الـــدنيا بشـــيءٍ وأمُّ الفضـلِ- يـا أسـفا- بِقَبْـرِ

إن المتتبع لدائرة رثاء الزوجات في الشعر الأندلسي، ومدى تأثر الشاعر بالمرأة وإسهامه إياها في شعره، يجد أن هذا النوع من الشعر قد انتشر بشكل كبير، وتضخم حجمه، إلى أن غدا أمراً لافتاً، وقد يطول بنا المقام لو تتبعنا كل الشعراء الذين رثوا زوجاتهم في هذا العصر.

4.2 المرأة الشاعرة

احتلت المرأة في الأندلس مكانة مرموقة، فكان لها دور مهم في الحياة الأدبية(211) بل لعل حرية المرأة في الأندلس قد زادت بعض الشيء، فقد روي شعر مليء بألفاظ الأدب المكشوف، وكان ينشد ويحفظ في المجتمعات(212).

وقد أسهم هذا التطور والتحرر الذي عاشته المرأة في الأندلس في ظهور عدد من الشاعرات والأديبات الأندلسيات في عصر المرابطين والموحدين، وقد كان بعضهن يترددن على منتديات الرجال الأدبية، بل كان لبعضهن منتديات يتردد عليها الرجال والنساء معاً(213).

ومن هؤلاء الشاعرات، نزهون الغرناطية[214]، لقد اختلف في ذكر صفة نزهون فمنهم من وصفها بأنها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر[215]، ومنهم من يصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال[216].

ولشعر نزهون جانبان: جانب مشرق لطيف، وجانب جريء عنيف، ومن الأمثلة على جوانب الإشراق واللطف في حياتها المساجلات الشعرية التي كانت تعقدها مع الوزير أبي بكر ابن سعيد الذي يعد من أشد المعجبين بها، وقد كتب لها ليطمئن على مكانته عندها؛ يقول[217]:

يـــا مَـــنْ ألـــفُ خِـــلّ ... مِـــنْ عاشـــقٍ وصـــديقِ
أراكَ خَلّيـــــتْ للنّـــــا ... سِ منْـــــزِلاً في الطريـــــقِ

فأجابته نزهون مؤكدة المكانة الكبيرة التي يحظى بها في نفسها والحب العظيم الذي تحمله له؛ حيث تقول:

حَلَلْـتَ أبـا بكـرٍ محـلاً مَنَعْتُـهُ ... سواكَ وَهلْ غيرُ الحبيبِ له صَدْري
وإنْ كانَ لي كمْ مِنْ حبيـبٍ فإنّما ... يُعَدّمُ أهـلُ الحقّ حُـبَّ أبـي بَكْـرِ

ومن حسن تصرفها في المعاني وسرعة بديهتها، نجده واضحاً في الأبيات التي ردت فيها على أحد الثقلاء عندما رآها فأعجبه جمالها فقال لها: ما عليّ من أكل معك خمسمائة سوط، أي أنه يرحب بكل ألوان العذاب ما دام معها، لكنه لم يحسن التصرف؛ تقول[218]:

وذي شَـقوَةٍ لّمـا رآنـي رأى لَـهُ ... تَمَنّيه أن يصلي معي جاحِمُ الضَّـرْبِ
فقلـت لـه كلـها هنيئـاً فإنّمـا ... خُلِقْتُ إلى لـبسِ المطـارفِ والشـرْبِ

ومن شعرها المشرق الجميل ما قالته في وصف ليلة من ليالي مباذلها[219]:

لِلَّـــهِ درُّ الليــــالي مـــا أحَســـينها ... وما أحسنَ منها ليلةَ الأحَدِ
لـو كنـت حاضـرنا منهـا وقـد غفلـتْ ... عَيْنُ الرقيبِ فلم تَنظرُ إلى أحدِ
أبصرت شمسَ الضحًى في ساعدي قمر ... بلْ ريمَ خازقةٍ في ساعدي أسدِ

ومن شعرها العنيف، ما دار بينها وبين الشاعر أبي بكر المخزومي الأعمى في أحد مجالس الأدب عندما قال فيها[220]:

على وجهِ نُزْهونَ منْ الحسنِ مسحةٌ ... وإنْ كان قد أمسى من الضوءِ عارياً
قواصـدَ نُزْهـونٍ تـوارِكَ غيرهـا ... ومـن قَصَد البحرَ استقلَ السَّواقيا

فردت عليه بشعر أكثر بذاءة[221]:

إن كـــان مـــا قلـــت حقّـــاً ... مـــن بعـــض عهـــدٍ كـــريم
فصـــار ذكـــرى ذميمـــاً ... يعـــزى إلى كـــلُ لـــوم
وصـــرت أقـــبح شـــيء ... مـــن صـــورة المخـــزوم

ويذكر صاحب المغرب أبياتاً أخرى في رد نزهون على الشاعر المخزومي؛ وفيها تقول[222]:

خلقـــت أعمـــى ولكـــن ... تهـــيم في كـــل أعـــور
جاوبـــت هجـــواً بهجـــوٍ ... فقـــل لعنـــت مـــن أشـــعر
إن كنـــتُ في الخلـــق أنثـــى ... فـــإن شـــعري مـــذكَّر

ومن مساجلاتها مع الشاعر ابن قزمان، أنه عندما أجتمع بها في غرناطة قالت له عقب ارتجال بديع، وكان يلبس غفارة صفراء، أحسنت يا بقرة بني إسرائيل إلا أنك لا تسر الناظرين، فقال لها: إن لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين، وإنما يطلب سرور الناظرين منك يا فاعلة يا صائعة، حتى تمكن السكر منه فرموه في البركة، فعندما خرج قال اسمع يا وزير[223]:

إيه أبا بكر ولا حول لي بدفع أعيان وأنذال
وذات فرج واسع دافق بالماء يحكي حال أذيالي
غرّقتني في الماء يا سيدي كفره بالتّفريق في المال

فلم يغادرابن قزمان من غرناطة حتى أجزل له العطاء والإحسان، ومدحه بما هو ثابت له في ديوان أزجاله.

وهكذا استطاعت غرناطة أن تقدم شاعرة وأديبة كبيرة، شعرها إذا خلا من الفحش مطبوع، عذب، بعيد عن التصنع قريب من البديهة والخاطرة.

ومن الأديبات اللواتي ظهرن في إشبيلية في هذه الفترة، مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري سكنت اشبيلية، وأصلها ورد في النفح من شلب[224]، وهي أديبة شاعرة مشهورة، وكانت تعلم النساء الأدب[225]، وتحتشم لدينها، وقد عمرّت طويلاً.

ومن شعرها ما بعثت به إلى المهدي بن تومرت تمدحه، فبعث إليها عدداً من الدنانير وعدداً آخر من أبيات الشعر قال فيها[226]:

مالي بشكر الذي أوليت من قبل لو أنني حزتُ نطّق اللّسن في الحلل
يا فذّة الظرّف في هذا الزمان ويا وحيدة العصر في الإخلاص في العمل
أشبهت مريماً العذراء في ورعٍ وفقت خنساء في الأشعار والمثل

فردت عليه بقصيدة تمدحه لما بعث إليها من ماله، وخلع عليها من أدبه قائلة[227]:

مـن ذا يجاريـك في قـولٍ وفي عمـلِ　　وقـد بـدرتُ إلى فضْـلٍ ولم تُسَـلِ
ما لي بشكرِ الذي نظمتَ في عنُقـي　　من الـلآلىء ومـا أوليـتَ مـنْ قَبـلِ
حليّـتني بحُلـى أصـبحتْ زاهيـةً　　بها على كل أنثى من حلـي عطـلِ
للهِ أخلاقـك الغـر الـتي سـقيتْ　　مـاء الفـرات فرقّـتْ رقـةَ الغـزلِ
أشبهْتُ مـروانَ مـن غـارت بدائِعِـه　　وأنْجدت وغدتْ مِنْ أحسـن المثـلِ
مَـنْ كـان والـده العَضْـبَ المهنّـد لمْ　　يَلدْ مِنْ النَّسْلِ غير البيضِ والأسـلِ

ومن شعرها وقد أحست بالكبر والشيخوخة، شكت زمانها، فقالت[228]:

وما يرتجي مـن بنـت سبعين حجّـةً　　وسبع كنسج العنكبوت المهلـهل
تدبُّ دبيب الطفّل تسعى إلى العصا　　وتمشي بها مشي الأسـير المكبّـل

ومن شاعرات هذا العصر أيضاً أم العلاء بنت يوسف، وهي من أهل وادي الحجارة[229]، وقد ذكر ابن سعيد أنها ممن تفخر به بلدها وقبيلتها[230].

ومن شعرها الغزلي الذي يمثل امتداداً طبيعياً في رقة شعرها ونهجها لحفصة، التي تعد رائدة شعر الغزل في الأندلس[231]، ومن شعرها قولها[232]:

كـل مـا يصـدر عـنكم حسـن　　وبعليـاكم يحلّـى الـزّمن
تعكـف العـين علـى منظـركم　　وبـذكراكم تلـذّ الأذن
مـن يعـش دونكـم في عمـره　　فهـو في نيـل الأمـاني يغـبن

أن أم العلاء تعد أكثر استحياء من غيرها وهي تتغزل، وهي أهدا صوتاً عندما تشكو من الحب، وتعبر عن هذه الشكوى بصوت رهيف، ويظهر ذلك في أبياتها التي قالتها مخاطبة من انعطف القلب له[233]:

إفهم مطارح أحوالي وما حكمت ... به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني إلى عذر أبيّنه ... شرُّ المعاذير ما يحتاج للكلم
وكلُّ ما جئته من زلَّةٍ فيما ... أصبحت في ثقةٍ من ذلك الكرم

ومن شعرها الرقيق الذي لا يخلو من الحكمة وروح الدعابة والتطرف ما كتبته لرجل أشيب عشقها[234]:

الشيب لا يخدع فيه الصّبى ... بحيلة فاسمع إلى نصحي
فلا تكن أجهل من في الورى ... يبيت في الجهل كما يضحى

وفي هذه الأبيات ترسم لنا صورة جميلة وجذابة لقصب واديها، فيبدو هذا القصب كالبند يرفرف على خفقات النسيم؛ تقول[235]:

لله بستاني إذا ... يهفو به القصب المندى
فكأنما كف الريّا ... ح قد اسندت بنداً فبدا

ومن شاعرات هذا العصر أيضاً حفصة بنت الحاج الرّكوني، وهي من أهل غرناطة، فريدة الزمان في الحسن[236]، والحسب، والمال[237]، والظرف، والأدب، واللوّذعية، كانت أديبة نبيلة، جيدة البديهة[238]، وخيمة الشعر، رقيقة النّظم والنثر[239]، وحفصة في غرناطة على زمانها مثل ولادة في قرطبة على زمانها، إلا أن حفصة أشعر، وفي غزلها أكثر جرأة في الهجوم على معاني العشق والإثارة والغيرة[240]، وارتبطت بالوزير الشاعر الكاتب أبي

جعفر أحمد بن سعيد وزير عبد المؤمن كان يهواها، ويتغزل بها، وبسببها قتل، قتله عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة الذي كان يشاركه في حبها.

كانت حفصة إلى جانب جمالها، وأدبها، وعلمها، تتمتع بالقدرة على الارتجال في الشعر، فقد قالت في مدح عبد المؤمن في قصره حين صادفته، وكانت تعمل مؤدبة لنسائه[241]:

يـــا ســـيّد النـــاس يـــا مـــن   يؤمّـــــل النـــــاس رفـــــده
أمـــــنن علـــــيّ بطـــــرسٍ   يكـــــون للـــــدهر عـــــدّه[242]
تخـــــطّ يمنـــــاك فيـــــه   "الحمـــــــد لله وحـــــــده"

وقد أشارت في البيت الثالث إلى العلامة السلطانية عند الموحّدين، الحمد لله وحده.

وكانت حفصة قد نالت شهرة كبيرة في عصرها، حتّى أن بعض الناس كان يطلب منها أن تكتب لهم على بطاقات خاصة بعضاً من شعرها، فقد ذكر الوزير أبو بكر أن أخته رغبت إلى حفصة أن تكتب لها شيئاً بخطها فكتبت لها[243]:

يا ربّة الحسْن بل يـا ربّـة الكـرم   غضّي جفونك عمـا خطـه قلـم
تصـفحّيه بلحـظ الـودّ منعمـة   لا تحفلي بردى والخـطّ والكلـم

ومن أجمل شعرها ما قالته في الوزير أبي جعفر في ثوب من الاحتشام[244]:

سلامٌ يفتّح عـن زهـره الكمـام   وينطـــق ورق الغصـــون
على نـازح قـد ثـوى في الحشـا   وإن كـان تحـرمُ منـه الجفـون
فـلا تحسـبوا البعـد ينسـيكم   فـذلك والله مـا لا يكـون

ومن شعرها أيضاً[245]:

سلوا البارق الخفّاق والليل ساكن   أظل بأحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفقةً   وأمطرني منهلٌ عارضةُ الجفنا

ومن الأديبات الأندلسيات اللواتي عاصرن حفصة أو جئن بعدها بقليل أسماء العامرية، وهي من أهل اشبيلية، وقد وصلنا قليل من شعرها، ومنه هذه الأبيات التي بعثتها إلى عبد المؤمن بن علي، تذكر بنسبها العامري، وتطلب من خلال الأبيات دفع الإنزال عن دارها، والحجز على مالها[246]:

عرفنا النصر والفتح المبينا   لسّيدنا أمير المؤمنينا
إذا كان الحديثُ عن المعالي   رأيت حديثكم فينا شجونا

ومنها أيضاً:

روّيتُمُ عِلْمَه فَعَلمتموه   صُنْتُم عَهْدَه فَغَدا مصوناً

ومن الشاعرات الأديبات في هذا العصر أم الهناء بنت القاضي أبي محمد بن عبد الحق ابن عطية، من أهل قرطبة، وهي سريعة التمثل، حاضرة النادرة، من أهل العلم والفهم، والعقل، ومما يدل على ذلك أنه عندما ولّي أبوها القضاء دخل داره وعيناه تذرفان الدمع على فراق قرطبة فقالت[247]:

يا عين صارَ الدَّمعُ عندكِ عادةً   تَبْكينَ في فرَحٍ وفي أحزّانِ

ومن شعرها في الغزل الرقيق الذي يحمل حياء العذارى، وبراءة الغرائز، قولها[248]:

جَاءَ الكتابُ مِنْ الحبيب: بأنهُ سيزورني فَاسْتَعبرتُ أجفاني
غَلَبَ السُّرور عليَّ حتَى أنهُ مِنْ عظْم فرط مسرَّتي أبْكاني

ومنهنّ أيضاً الشاعرة الشلبيّة، التي لم يقف ابن الأبار على اسمها، واكتفى بذكر نسبها إلى مدينتها شلب، وكانت قد كتبت إلى السلطان يعقوب المنصور تتظلم من ولاة بلدها، وصاحب خراجها[249].

وحينما وصلت الأبيات إلى المنصور تصفحها وتابع القضية بنفسه، ورفع الظلم عن المدينة، وأمر للشاعرة بصلة.

الفصل الثالث:
الشعر والحياة اليومية

الفصل الثالث: الشعر والحياة اليومية

1.3 الإخوانيات

لقد شمل هذا الشعر موضوعات اخوانية شتّى، مثل المفاكهة، والاستهداء، والتهنئة بمولود جديد، والتهنئة بالشفاء من مرض... فقد كتب الشاعر ابن سهل الأندلسي إلى الوزير أبي علي بن خلاص بأبيات معبراً عن إشفاقه عليه ومهنئاً له بالشفاء من المرض؛ إذ يقول[250]:

ظـل الزمـان محـيراً لشـكاية   فلـو أنـه عـين أذن لم تطـرف
عجبـاً مـن الأيـام تسـقمه ومـا   زالت به من كـل سـقم تشـتفي
ما نالت الآلام منه سوى الـذي   نال الصقال من الحسام المرهـف

كما كتب الأعمى التطيلي أبياتاً يهنئ فيها صديقاً له بإبلائه من مرضه معبراً فيها عن ابتهاجه بشفائه، منوهاً بأخلاقه وصفاته وشجاعته؛ يقول[251]:

لا تسترب من ذا النحـول فإنـه   صدأٌ أصاب الصـارم المصـقولا
فالبـدر يكسـف في علـو مكانـه   والوعك يـدخل للـهزبر الفـيلا

كما تبادل الشعراء في اخوانياتهم بالمناسبات الاجتماعية، ومن هذه المناسبات المهمة عند أهل الأندلس التهنئة بالمولود، فكان الشعراء يقدمون على التهاني في هذه المناسبة، فكتب ابن الأبار مهنئاً أبا المطرف بن عميرة بازدياد ولد؛ يقول[252]:

مرحبـاً مرحبـاً بأسـنى وليـد   زيـد مـن آل خالـد بـن الوليـد

كما رفع أبو بكر أحمد الأبيض إلى أحد أصدقائه أبياتاً مهنئاً بها بمولود معبراً عن فرحه وسروره بهذه المناسبة السعيدة؛ يقول:[253]

يهنئك الفارس الميمون طائره ... لله أنت فقد أذكيته قبسا
أصاغت الخليل آذاناً بصرخته ... واهتز كل هزبر عندما عطسا
تعشق الدرع مذ شدّت لفائفه ... وأبغض المهد لمّا أبصر الفرسا
تعلم الركض أيام المخاض به ... فما امتطى الخيل إلا وهو قد فرسا

وتكون الفرصة مضاعفة عند الوالد عندما يرزق بتوأمين، فقد كتب ابن الأبار إلى أحد أصدقائه مهنئاً له بمناسبة ولادة توأمين معبراً عن فرحه ومشاركاً صديقه هذه المناسبة الاجتماعية السعيدة؛ يقول:[254]

هنئت يا بدر الكمال أهلةً ... طلعت بأسعد حالة ومآب
اثنان ثم ابنان منك تفرعا ... في أطهر الأحساب والأنساب
وهلال هذا الشعر ثالثها الذي ... أيدى شهاباً منهما بشهاب
لا زالت الأيام واهبة المنى ... من منتداك لمفضلٌ وهّاب

كما يقدم المهنئون المولود بصورة الكواكب والنجوم مع فرق بين الطفل والنجم، والنجم يغرب والطفل يبقى منيراً دائماً لا يغرب. كما يصف الشاعر المولود بحسن خلقه وكرمه وشجاعته فيحلو ذكره ويستعذبه اللسان. كما أن المولود يغير حال والده من حال الشيب إلى حال الشباب؛ بسبب فرحه وسعادته بمولوده، فيعود شاباً، وفي هذا؛ يقول الرصافي البلنسي[255]:

سرّاء شبّ بها الزمان الأشيبُ ... وسما مجد زيد فيها كوكب
وعلوّ منزلةٍ تشاء بأزهر ... كالنجم إلا أنه لا يغرب
بأبي له خلق الوليد إذا هفا ... كرم المراضع والنجار الطيب

ولدت بمولوده المكارم والندى   وتأهب النادي له والموكب
بشراك بالطفل الذي هو عندنا   شبل وفي والمعنى هزبر أغلبُ
فأهنأ به من طالع ذي أسعد   يزهى بعزته الزمان ويعجب
يحلو على طرف اللسان كأنما   عسلٌ وماءٌ لفظها المستعذب
بلغت بك الأيام قاصية المنى   مما تحاوله الكرام وتطلب

ومن نماذج الحنين إلى الأصدقاء، ما كتبه ابن خفاجة إلى الفقيه الفاضل أبي بكر بن مفوز، يحن إليه ويتشوقه، ويصور ألم الوحدة، وشدة الحنين إليه؛ يقول[256]:

ولئن سلوت وما أخالك ناسياً   كرم الإخاء فإنني أتشوق
ويهيجني نفس النسيم إذا سرى   ويشوقني فيك الحمام الأورق
فإذا تطلع من سمائك بارقٌ   أو طاف زورٌ من خيالك يطرق
خفقت لذكرك أضلعي فكأن لي   في كل جانحةٍ جناحاً تخفقُ
وتملكتني لوعة مشبوبة   شوقاً إليك وعبرة تترقرقُ
فابعث بطيفك باغتاً أو واعداً   أني إليه كيف كان لشّيق
وصل التحية أنّ عهدك زهرة   تندى وذكرك نغمة تتنشق

ويعد العتاب بين الأصدقاء موضوعاً مهماً، فقد كثر هذا النوع من الشعر عند الشعراء في عهد المرابطين والموحدين، ومنه قصيدة كتبها ابن خفاجة في معاتبة صاحب (القلائد) الفتح بن خاقان، حينما أتى في وصفه أيام فتوته بتدبير وتمليح؛ فكتب معاتباً إياه يقول[257]:

خذها يرن بها الجواد صهيلاً   وتسيلُ ماءً في الحسام صقيلا
حمّلتها شوقاً إليك تحيةً   حملتها عتباً عليك ثقيلا

من كل بيتٍ لو تدفق طبعه　　ماء لغص به القضاء مسيلا
ما للصديق روقيت تأكل لحمه　　حياً وتجعل عرضه منديلا

كان بعض الشعراء يرسلون هداياهم إلى أصدقائهم مرفقة ببعض الأشعار، وقد انتشر هذا النوع من الشعر بين الأصدقاء في عهد المرابطين والموحدين بشكل لافت للأنظار، فقد كتب الوزير أبو محمد بن عبدون، ت (529هـ) مع خمر وورود أهداهما له المتوكل؛ يقول[258]:

إليك فاجتليتها منيرة　　وقد خبا حتى الشهاب الثاقب
واقفة بالباب لم يأذن لها　　إلا وقد كاد ينام الحاجب
فبعضها من المخاف جامد　　وبعضها من الحياء ذائب

وتوسع الشعراء في عهد المرابطين والموحّدين في أشعارهم الإخوانية حتى إنهم تعرضوا إلى الفكاهة والمداعبة والتندر في المراسلات التي كانت تدور بينهم، وكانت هذه الأشعار تنمّ عن الأحداث المطرفة في أغلبها، وفي هذا يقول ابن جهورة[259] مداعباً الشاعر مرج الكحل عندما مر بأرض حمراء له غير صالحة للعمارة[260]:

يا مرج الكحل ومن هذي المروج له　　ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
ما حمرة الأرض عن طيب وعن كرم　　فلا تكن طمعاً في رزقها العجل
لكن شيمتها أخلاق صاحبها　　فما تفارقها كيفية الخجل

فأجابه مرج الكحل قائلاً[261]:

يا قائلاً إذ رأى مرجي وحمرته　　ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
تلك المباء التي للروم قد سفكت　　في الفتح بيض ظبا أجدادي الأول

أحببتها إذ حكت من قد كلفت به   في حمرة الحسد أو أخلاقه أملي

ومن شعر المداعبة والمفاكهة الذي ينمّ عن روح الفكاهة والدعابة التي كانت منتشرة بين الشعراء، ما كتبه ابن خفاجة مداعباً صديقاً له من الشعراء يهنئه بنعجة سوداء كان قد تغزل فيها؛ يقول[262]:

وسوداء تدمي به منحراً   كما اعترض الليل تحت الشفق
ستخلع من فروها ضحوةً   سواد الدجى عن بياض الفلق
فيا حسن خصرٍ لها أحمرٍ   ومئزر شحم عليه يقق
وما فلت في قميص الدجى   ولا اشتملت برداء الغسق
ولكن تسيل عليها القلوب   هوى وتذوب عليها الحدق

ويتبين مما سبق أن الشعراء في عهد المرابطين والموحدين كانوا قد اتخذوا من أشعارهم الإخوانية نوعاً من التعبير عما يدور في مشاعرهم اتجاه أصدقائهم، فقد كانت هذه الأشعار والمراسلات بمثابة بطاقات التهنئة التي يتبادلها الأصدقاء في الوقت الحالي.

كما حثت قيم الدين الإسلامي الحنيف المسلمين على مواساة المرضى وزيارتهم والدعاء لهم بالشفاء مما أصيبوا به من مرض وسقم، عملاً بالمثل والأخلاق العربية. عمل أهل الأندلس على ممارسة هذا السلوك الاجتماعي في زيارة المريض ومواساته لمعرفة بأن زيارة المريض سعادة له، وإحسان يثاب عليه المسلم، كما تؤدي عيادة المريض إلى تثبيت أركان المجتمع المسلم لما يشعر به المريض من مشاركة إخوانه وأصدقائه في محنته، وليس أمامهم إلا الدعاء له بالشفاء العاجل وتبعث الزيارة في نفس المريض أملاً في انفراج الخطوب والنوائب والبرء والشفاء من المرض، لأنه يرى فيمن يزوره قلباً

مؤمناً صادقاً ومشاركاً له في مأساته، ومما يدل على ذلك قول ابن خفاجة الأندلسي[263]:

إن الليـــالي لا دَهتـــكَ لعابثـــه فوقيت فيك يـد الزمـان العائثـه
وسلمت من خل يعود على النوى كرماً فتنفرج الخطـوب الكارثـه
فـــأرى بـــه للقلـــب قلبـــاً ثانيـــاً عـــزّاً وللعيـــنين عينـــاً ثالثـــه

وهكذا ومن خلال دراسة الشعر في الأندلس، نلاحظ أن عيادة المريض غدت سلوكاً اجتماعياً محبباً إلى النفوس، لما تحمله من معاني المودة والتراحم والتزاور بين أبناء المجتمع الواحد، وظلت نوعاً من أنواع الانسجام بين الناس، فبالتالي يسود التعاون بينهم، فينتج عنه بناء مجتمع مؤمن قوي.

2.3 تهنئة ولي الأمر:

كما كانت التهنئة تقدم للأصدقاء والأهل في عهد المرابطين والموحّدين، أخذت أيضاً جانباً آخر وهو تقديم هذه التهاني إلى الخليفة أو الأمير، أو والي الأمر، وكانت تدور معظم هذه التهاني في جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية؛ مثل تقديم التهاني في الأعياد، والانتصارات على الأعداء.

لقد كان للنصر عند أهل الأندلس الأثر العظيم والمحبب للنفس؛ لما له من أهمية كبيرة لما رأوه من ضروب العدوان، وما لحق بمدنهم من تخريب وتهديم، وتشريد لأهلها، وخاصة القريبة منها إلى بلاد العدو.

لذلك كانت فرحتهم عظيمة عندما يحققون الانتصار على أعدائهم، فيخرج الناس إلى الشوارع لاستقبال الخليفة أو الأمير و الجيش، وتقام

الاحتفالات الكبيرة بمناسبة النصر، ويتقدم الشعراء والأدباء للخليفة بقصائد التهنئة لما حققه من نصر عظيم على أعداء الإسلام، فكتب الشاعر علي بن حزمون قصيدة مهنئاً بها الخليفة أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بعد انتصاره على الأدفنش في معركة (الأرك) سنة 591هـ؛ إذ يقول[264]:

هيّتك معطرة النّفس نفحات الفتح بأندلس
فذر الكفّار ومأتمهم إن الإسلام لفي عرس
أإمام الحقّ وناصره طهرت الأرض من الدّنس
وملأت قلوب الناس هدى فدنا التوفيق لملتمس

وعندما عاد السلطان أمير المؤمنين يعقوب المنصور من أفريقيا سنة (603هـ) وقد تم على يديه فتح (المهدية)، اجتمع عدد من الشعراء والكتاب وتذاكروا هذا الفتح وعظمته، أنشد الشاعر مرج الكحل أبياتاً يشيد بها بالفتح والخليفة؛ يقول[265]:

ولما توالى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السرّ الإلهي عنده
فلا نعمة إلا تؤدي حقوقها علامته "بالحمد لله وحده"

كما وأنشد العديد من الشعراء قصائد في تمجيد هذا الفتح وعظمته والإشادة بالخليفة، فكتب الشاعر ابن نوح الغافقي[266]، مهنئاً بهذا الفتح؛ يقول[267]:

قد أنزل العسر من أعلى ذوائبها من كان معتقداً في برجها الأسدا
حيث الثواة لقد ضلت حلومهم على مجانيق توحي العقل والجلدا

كأنما الأرض كانت قبل واحدةً حقداً علي والمفات السحب أو حردا
فأمطرتهن أحجار العذاب بما كانت قديماً عليها أمطرت بردا

وتشير بعض الأشعار إلى استخدام أنواع متعددة من السلاح الذي كان يستخدم في تلك المعارك، ومن هذه الأسلحة كما ورد في الأشعار آلة المنجنيق.

وفي وقعة (قفصة) سنة (576هـ) كان لهذا النصر مكانة المعارك والانتصارات الكبرى في الإسلام، وما لها من أثر في تثبيت أركان الإيمان وإحيائه من جديد في نفوس الناس؛ وفي هذا يقول ابن أبي قوة ت (608هـ):

المجد يشهد والبسالة والندى والحلم أنك للإمام سليل
أحييتم الإيمان بعد مماته وشفيتم الإسلام وهو عليل
لولا بيانكم ونور هداكم لم يعرف التحريم والتحليل[268]

وسجل الشعر في عهد المرابطين والموحدين معظم تلك الانتصارات الخالدة التي كان لها دور فعال وأساسي في تثبيت أركان الدولة الإسلامية في الأندلس وترهيب الأعداء من قوة المسلمين المتزايدة، كما أشاد بالقادة وحثهم على فتح المزيد من البلاد وضمها إلى ديار الإسلام، ورفع راية الإسلام عالية خفاقة.

وكان من عادة أهل الأندلس الاحتفال بعيد الفطر والأضحى، وإظهارهما، والتبجيل والتعظيم لقدومهما. وكان من تمام مراسيم هذه الاحتفالات أن يعمد الخليفة أو الأمير للتهنئة في هذه المناسبة الكريمة،

ويسعى الناس إليه بالتبريكات وطيب الأمنيات؛ وفي هذا يقول الشاعر محمد بن إبراهيم بن المنخل الشلبي مهنئاً الخليفة أبا يعقوب في العيد[269]:

وإلـيكم وفـد العبيـد تسـوقهم   همـمٌ شـفيتم هيمهـا وهيامهـا
يتقـــدمون محبـــة ونفوســـهم   منن تعوق عـن الجفـون منامهـا
وتملّــؤ الأزمــان أعيــاداً كمــا   حليـــتم بســـنائكم أيامهـــا
وتقبلوا قصـد العبيـد فقصـدكم   عمـل يطـابق هـديها وطقامهـا
وتكفل الـرحمن نصـرة مليككم   وأمـدّ مـدة عمـركم وأدامهـا

كما يتخذ الأندلسيون من العيد مناسبة لتهنئة الخليفة أو الأمير، فإذا أطلٍ أول أيام العيد قدم الناس وفيهم الشعراء والخطباء على الخليفة مهنئين ومباركين له عيده.

كما لا يوجد فرق عند المرابطين والموحدّين بين عيد الفطر والأضحى في الاحتفال في كل منهما، حيث لكل منهما فرحة خاصة؛ يقول ابن الأبار[270]:

دامـت لنـا الأيـام أعيـاداً بـه   وتهـــاه في أجيادنـــا أطـــواق
والفطـر مثـل النحـر في أعدائـه   ممـــا يســـال نجيعهـــا ويـــراق

ويعتبر تولّي المنصب في عهد المرابطين والموحدّين من المناسبات الاجتماعية التي سعى فيها المهنئون لتقديم أجل التهاني، معددين صفات الأمير أو الخليفة التي يجب أن يتمتع بها الخليفة أو الأمير، لما لها من دور فعال في البقاء على قوة المملكة منيعة وحصينة ضد الأعداء، فقوة البلد من قوة الأمير أو الخليفة، كما أن الأندلس دائماً بحاجة إلى الخليفة أو الأمير القوي لما يحيط بهذه البلاد من الأعداء.

قال ابن سارة الإشبيلي مهنئاً ومادحاً للأمير أبا يحيى بن إبراهيم وقد قدم والياً[271]:

اليوم أخمدت الضلالة نارها	فاسترجعت دار الهدى عمّارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة	وهي الحديقة فوفت أزهارها
وكأن نشر نباتها نيسان إذ	يكسو رباها وردها وبهارها
في غيب سارية ترقرت أدمعاً	يحكى الجمان صغارها وكبارها

وقد هنّأ الشاعر ابن الأبار الخليفة بمناسب برءه من المرض والبيعة له بالخلافة وفيهما؛ يقول[272]:

إن البشائر كلها جمعت	للدين والدنيا وللأمم
في نعمتين جسيمتين هما	برءُ الإمام وبيعة الحرم

كما يعتبر الاعتذار موضوعاً مهماً من المواضيع التي تعرض لها الشعر الاجتماعي في عهد المرابطين والموحدّين، وكان أغلب الاعتذار يدور حول التأخر عن المكاتبة بين الأصدقاء، أو اتجاه والي الأمر، أو الاعتذار عن القدوم مع وفد رسمي.

فقد سجل الشعر معظم هذه المواضيع في قصائد خاصة، ومنها قصيدة كتبها الشاعر أبو عبد الله بن أبي الخصال يعتذر فيها عن المكاتبة؛ يقول[273]:

ألم تعلموا والقلب رهن لديكم	يخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قبلتني الحادثات مكانكم	لأنهتبها فكري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحدي	فداءٌ ولا أرضى بتغدية وحدي

وهذا أيضاً الشاعر ابن شلبون[274] يمدح ويعتذر عن قدومه مع وفد بلنسيه سنة (622هـ) إلى اشبيلية؛ يقول[275]:

حنانيك قد ثبنا إليك وقد ثبنا	فجدد لنا الرحمن وأكد لنا الأمنا
هو القدر الجاري على الناس حكمه	فلا غروَ أن جاءوا سراعاً وأبطأنا
إذا لم تكن بالمرتجين عناية	سماوية عادت عيادتهم أفنا
فلكنا تصارفنا تصاريف نجتني	بها مدة ربحا أونةً غبنا
وأما وإغضاء الخليفة شامل	فبشرى بما نلنا به الخير والأمنا

3.3 التعازي:

من المناسبات الاجتماعية عند أهل الأندلس التعازي بالوفاة، وحين حصولها فإن أهل المتوفّى وأصدقاءه وجيرانه يشيعونه بعد أداء الصلاة عليه في المسجد إلى المقبرة من أجل الدفن بمراسيم بسيطة، وهي لا تختلف عن مراسيم الدفن عند أهل الشرق.

وغالباً ما كان أهل المتوفى يضعون شاهداً رخامياً على القبر، يكتب عليه اسم المتوفى، وتاريخ الوفاة، وآيات قرآنية كريمة، وكان بعضهم يعد أبياتاً شعرية لتكتب على شاهد قبره وهو على قيد الحياة[276].

وحين يفقد الأندلسي عزيزاً عليه، فإن روح المواساة والمشاركة في مراسيم الدفن، وتقبل العزاء، تتجلّى عند الأهل والأصدقاء، فيعبرون في أصدق عواطفهم ومشاعرهم عن الحزن والألم الذي ألمّ بهم، ويتوجهون للتعزية بكلمات تخفف هول هذه المصيبة عن أهل المتوفى.

وفي مثل هذه المناسبة يكون التذكير بالصبر على المصيبة، والرضى بالقضاء فلا مرد لقضاء الله عز وجلّ، فتكون أعظم الأثر في التخفيف من

حزنه وكربه، فالشخص لا يحتاج في مثل هذه المواقف سوى التشجيع والتصبر على هذه الكربة التي حلّت به.

يقول محمد بن السيّد البطليوسي، يعزي الوزير أبا عيسى بن ليون في أخيه:

للمــــرء في أيامـــــه عـــــبر والصــفو يحــدث بعــده الكــدر
خــرس الزمــان لمــن تأملــه نطــق، وخــبر صــروفه خــبر
كـم قـال: هبّـوا طالما هجعـت مــنكم عيــون حقهــا الســهر
أبأذن مـن هـو مبصـري صـمم أم قلـب مـن هـو سـامعي حجـر
لولا عماكم عـن هـوى تُـذري ومــواعظي مــا جــاءت النــدر
هــذه مصــارع معشــر هلكــوا ووعظتكم بالصمت فـاعتبروا[277]

وأمام وقوع الملمة بفقد الأحبة، والخلان يكون العزاء الوحيد للفرد الأندلسي التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، الذي قدر كل شيء فلا راد لقضائه، ولا مبدل لكلمته فكم من كربة فرجها الله سبحانه، أو ليس هو مؤنس يعقوب برد يوسف إليه، ومنقذ يونس من بطن الحوت؛ قال ابن خفاجة[278]:

أفي كــل يــوم رجفــة لملمــة بفقـد خليـلٍ يمـلأ العـين مـؤنس
أبيـت لـه تنـدى جفـوني لوعـةً كما دمعت تحت الحيا عين نـرجس
وحسبي إذا مـا أوحشـتني كربـة بمـؤنس يعقـوب ومنقـذ يـونس

وكانت المواساة والتعزية في عهد المرابطين والموحّدين تأخذ طابعاً أخوياً حميماً بين ذوي القربى، ويكون وقع المصاب على الأسرة الأندلسية أليماً ومرّاً، لكن الصبر في الشدائد والملمات والنوازل تلوذ به، فليس للصبر على الخطوب إلا الثواب والأجر.

كما أن أغلب الشعر الاجتماعي الذي قيل في هذه المناسبات الاجتماعية يميل إلى دعوة أهل الفقيد إلى الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره، وبذل الشجاعة في تحمل هذه المصيبة والكربة التي حلت بهم.

قال ابن الأبار يرثي أم الخطيب أبي عبد الله بن قاسم، ويعزي أبنها(279):

وحسن عزاء في الأسى وتماسك ... سوى عبرة لم تعد عادة راحم
ومن كأبي عبد الإله بن قاسم ... لصبرٍ وتفويضٍ لدى كل قاصم
وحسبك من هادٍ إلى الخير هديه ... ومن ناجح مسعاه في كل ناجم
لك الخير خذها مفضياً عن قصورها ... قوافي أعيا وصفها كل ناظم
بعثت بها أبقي رضاك مساهماً ... ومثلك من أرضاه سعي المساهم

وهكذا كانت تأخذ التعازي في عهد المرابطين والموحّدين، من مشاركة الأهل، والأصدقاء، ومحاولة التخفيف عنه هذه الكربة، كما وان المجتمع الأندلس مجتمع مترابط من جميع جوانبه، وهو لا يختلف عن المجتمع الإسلامي في الشرق كثيراً.

4.3 النقد الاجتماعي

يلاحظ أن شعر النقد الاجتماعي قد قل على نحو ملحوظ في عصر المرابطين والموحدين، ولعل السبب يعود إلى تجنب الشعراء مثل هذا اللون الغاضب الساخط؛ خوفاً من السلطة أو حرصاً على مصالحهم الشخصية، فقد أوصى والد ابن سعيد ابنه مؤلف (القدح) أن يكون على حذر من هجاء الحكام والسلاطين؛ لأنهم كالنار المحرقة لا ينجو من اكتوى بها(280).

يعد شعر الهجاء الاجتماعي مقطوعات في معظمه، تنظم بأسلوب بسيط واضح ليسهل فهمه من قبل الآخرين، وتكون هذه المقطوعات

بأسلوب لذاع يميل إلى تضخيم الأشياء؛ ليثير الضحك، ومنه أبيات نزهون الكلاعي في شخص قبيح الصورة عرض لخطبتها[281].

وعلى الرغم من قلة الأشعار التي يمكن أن تدرج تحت هذا اللون من الشعر إلا أنه يظهر في عصر المرابطين والموحدين عدد من الشعراء الذين انتقوا بعض مظاهر الفساد أو ما كانوا يعتقدون أنه كذلك.

ومن هؤلاء الشعراء الذين اشتهروا آنذاك كما يذكر ابن سعيد، ثلاثة هجائين هم: المخزومي[282]، واليكي[283]، والأبيض[284]، ويمكن أن يضاف إليهم نزهون الكلاعي وابن سارة الشنتريني، وعلي بن حزمون وابن قزمان.

وعلى الرغم من قلة الشعراء الذين يمكن إدراجهم تحت باب النقد الاجتماعي، إلا أنهم صوروا بأسلوب انتقادي مظاهر الفساد الاجتماعي الذي انتشر في عهد المرابطين والموحدين، وما كان يتمناه الرعية من العدل والمساواة، كما رسموا تلك المفاسد بطريقة ساخرة معبرين عن أحوال الشعب ومعاناته.

فقد قال الأعمى التطيلي قصيدة حث فيها أهل اشبيلية على التمرد والثورة على الظالمين والفاسدين والمتعسفين من الحكام؛ بسبب الفساد الذي كانت تعاني منه تلك المدينة، ومنها[285]:

إلى الله أشكو الذي نحن فيه ... أسى لا ينهنه منه الأسى
فشا الظلم وأغتر أشياعه ... ولا مستغاث ولا مشتكى
وسار الطغام بتمويههم ... وهل يفدح الرزء إلا كذا؟
وذا اليوم حملنا فادحاً ... خضعنا له وانتظرنا غدا
ونفضي على حكم صرف الزمان ... وبين الجوانح جمر الفضا
أيا أهل حمصٍ وقدماً دعوت ... وهل تسمعون إلى من دعا
يقلُ لأقداركم كل شيءٍ ... فكيف رضيتم بدون الرضا؟

ومن الشعراء الذين تحدوا السلطة وثاروا على الظلم والفساد في عهد المرابطين والموحدّين الشاعر الأبيض، فقد كان هجاءً مقذعاً، سلط شواظ غضبه وهجوه على أمير قرطبة (الزبير المرابطي)، وله فيه مقطوعات كثيرة شاعت بين الناس وتناقلوها حتى سمعها "فأمر بإحضاره فقرعه، وقال: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: إني لم أر أحق بالهجو منك، ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك إنصافاً، ولم تكلها إلى أحد، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته وأمر بقتله"[276].

ومما قاله فيه مقطوعة سخر فيها منه سخرية لاذعة مشككاً في تظاهره بالعبادة، رامياً إياه بالفسق والفجور[287]:

عكف الزبير على الضلالة جاهداً ... ووزيـره المشـهود كلـب النـار
مـا زال يأخـذ سـجدةً في سـجدةٍ ... بـين الكـؤوس ونغمـة الأوتـار
فـإذا اعـتراه السـهو سبّح خلفـه ... صـوت القيـان ورنـة المزمـار

ويجنح في هجائه له إلى الاقذاع، كما في قوله[288]:

قـالوا الـزبير تـبرص فـأجبتهم ... لا تنكـروه، فـداؤه مـن عنـده
وضـعت مبـاعره... فـأكثرت ... حتـى بـدا رشـح،.. بجلـده

وهكذا كلفت الأبيض جرأته، وحدة لسانه الثمن غالياً، فقد قتله أمير قرطبة الزبير بسبب هجائه.

ويعد الشاعر ابن خفاجة من الشعراء الذين ثاروا ضد الظلم والتسلط على رقاب الناس، فهو يرجع كل مفاسد المجتمع إلى فساد الرأس المدبر، وتسوس الأصل، وجور الملك المتربع على العرش؛ إذ يقول[289]:

لعمري لو أوضعت في منهج التقى لكان لنا في كل صالحة نهج
فما يستقيم الأمر والملك جائرٌ وهل يستقيم الظل والعود معوج

ووجّه الشاعر اليكّي سهام هجائه إلى الملثمين كلهم ولم يستثن منهم أحداً واصفاً إياهم بالدناءة والهوان، قاذفاً أعراضهم مشككاً في صحة نسبهم، وذلك إذ يقول[290]:

في كل من ربط اللثام دناءة ولو أنه يعلو على كيوان
ما الفخر عندهم سوى أن ينقلوا من بطن زانية لظهر حصان
المتمون لحِميَّر لكنهم وضعوا القرون مواضع التيجان
لا تطلبن مرابطاً ذا عفة واطلب شعاع النار في الغدران

ومن الشعراء المعارضين في عهد المرابطين والموحدّين الشاعر أبو عبد الله محمد بن الصفاء القرطبي، الذي سجل موقفاً سياسياً صلباً اتجاه أبي العلاء المستنصر الموحّدي المنادي بإمارة المؤمنين في مراكش، فأباح أبو العلا دمه. ومن شعره فيه وفي مدح ابن أخيه يحيى بن الناصر الذي نازعه رداء السلطان؛ يقول[291]:

وأن ينازعك في المنصور ذو نسب فنجل نوح ثوى في قسمة العطب
وإن يقل أنا عم فالجواب له: عم النبي – لا شك- أبو لهب

ويظهر من خلال هذه الأبيات مناصرة الشاعر ليحيى ضد عمه المستنصر، كما يقال أن مناصرته، ومعارضته ليست من أجل خدمة بلده الأندلس، فهي تخلو من روح الوطنية، ولكن موقف الشاعر من ممدوحه موقف شريف ونبيل، فهو يعتقد الحق والخير بوجوده، ومن حقه أن يدافع عن هذا الاعتقاد.

كما انتقد الشعراء رجال الدين من قضاة، وفقهاء، ملصقين بهم الفساد الذي ينتقل إلى أجهزة الدولة، وربما يكون جزء من هذا الهجاء والنقد الموجه إلى الفقهاء والقضاة بدافع المنافسة والغيرة والحسد، ولكنه في أغلبه يحمل تلك الروح الثائرة المنتقمة من المتسلطين والمستغلين.

وقد كانت معظم معاني النقد الموجه إلى القضاة والفقهاء تتركز حول الرشوة، والرياء، والجهل وإحلال المحرمات، واستغلال الدين للمنافع الشخصية، وفي هذا يوجه الشاعر ابن الأبيض نقده إلى القضاة؛ يقول[292]:

أهـل الريـاء لبسـتم ناموسـكم كالذئب يدلج في الظـلام القـاتم
فملكـتم الـدنيا بمـذهب مالـك وقسمتم الأمـوال بـابن القاسـم
وركبتم شـهب البغـال بأشـهب وبأصبغ صبغت لكـم في العـالم

كما يصفهم الشاعر ابن الزقاق بالرياء والرشوة والجور[293]؛ حيث يقول:

قاضٍ يجور على الضعيف وربما لقي القوي بمثل حلـم الأحنـف
لعبتْ بطلعته الرشا لعب الرشـا بفـؤاد خفـاق الجـوانح مـدنف

ووجه الشاعر الأبيض نقداً لاذعاً إلى قاضي قرطبة يصفه فيه بالجهل والبخل؛ وفي هذا يقول:

يريـد ابـن حمـدين أنْ يقتفـي وجـدواه أنـأى مـن الكوكـب
إذا ذكـر الجـود حـك أسـته ليثبـت دعـواه في تغلـب[294]

سخر الشاعر أبو بكر بن مغاور من الملتحين المتسترين بالدين، فهم يقبلون الرشوة ويشهدون الزور من أجل مصالحهم الخاصة، كما يصفهم الشاعر بأنهم إخوان الشياطين؛ يقول[295]:

أنـا إلى الله مـاذا حـل بالـدين من الطوال اللحى البيض الثعـانين
باعوا رضى الله وابتاعوا بساخطة وغـيروا الشـرع بـالله للـدين
أضحت شـهادتهم بـالزور ناطقـةً إن الشـهود لأعـوان الشـياطين

وتعرض الشاعر المخزومي بالهجاء لعبد الملك بن سعيد جدّ صاحب المغرب وسمه فيه بالبخل على كثرة إحسانه إليه وإكرامه إياه[296]:

لا ترجـون بـني سـعيد اللنـدى فالظـل أفيـد مـنهم للسـائل
فلقد مررت علـى منـازلهم فمـا أبصرت منهـا غـير بعـد منـازل
قـوم مضـيبتهم بطلعـة وافـد وسـرورهم أبـداً بخيبـة راحـل

وهجا الشعراء الكتّاب، بصور قاسية ولاذعة جداً، كما يقول ابن سارة الشنتريني في أحد الكتاب:

وأغـر ينتحـل الكتابـة خطـةً متوقـد كالحيّـة النضـناض
عشق السواد فأصبحت أسـنانه تشري السواد ببيـع كـل بيـاض
فـإذا شـحا فـاه رأيـت خنافسـاً يأوين من فيه إلى مرحـاض[297]

ويعرض بعض الشعراء لهجاء مدينة بكاملها، فيلعن أهلها فليس فيهم إلا الشر والأذى؛ يقول المخزومي في أهل مرسية[298]:

على أهل مرسية لعنة   تعم الديار وأربابها
فما غلقت قط مذ فتحت   على فاضل الطبع أبوابها
كلاب تهر إلى شاعر   وتكشف للشر أنيابها

وبلغت ذروة الهجاء عند بعض الشعراء في عهد المرابطين والموحدّين إلى التعرض لهجاء نفسه، كما فعل الشاعر علي بن حزمون الذي وصفه ابن سعيد في كتابه (المغرب) بأنه (صاعقة من صواعق الهجاء)[299]، وعلى الرغم من ذلك لم نعثر له إلا على قصيدة واحدة بدأها بهجاء نفسه، ولعله كشف عن إحساسه بالضآلة والهوان، وفيها؛ يقول[300]:

تأملت في المرأة وجهي فخلته   كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو
إذا شئت أن تهجو تأمل خليقتي   فإن بها ما قد أردت من الهجو
كأن على الإزراء مني عورة   تنادي الورى غضوا ولا تنظروا نحوي
فلو كنت مما تنبت الأرض لم أكن   من الرائق الباهي ولا الطيب الحلو
وأقبح من مرآي بطني فإنه   يقرقر مثل الرعد في مهمه جوّ

وتعرض الشعراء بعضهم لبعض بالنقد، فمرج الكحل متهم عند الشاعر أبي حريز بالشؤم والأتهام بالزندقة والكفر؛ يقول فيه أبو حريز:

تبت يدا مرج الكحول فإنه   أفنى الأنام بشعره المشؤوم
قد أهلك الإسلام شؤمَ مديحه   هلاّ أشار بمدح للروم[301]

وهجاءه مرج الكحل ووصفه بالوضاعة لخسة في النسب؛ يقول فيه[302]:

أيـــا ناقصـــاً يـــدعي أنـــه كـريم الجدود شـريف السـلف
ألاجـــئ لنـــا بـــأب واحـــد وضـــيع نحـــن تحـــط الشـــرف

ومن أقذع الهجاء عند مرج الكحل، ما هجا به شخصاً اسمه بن بغل؛ يقول فيه[303]:

ألا قـــل لابـــن بغـــل لا يـــؤذن فيـــبخس ذكـــر خالقـــه بفيـــه
إذا مـــا كـــان في فمـــه كنيـــفٌ فكيـــف يحـــل ذكـــر الله فيـــه؟!

ومن تعرض لهم مرج الكحل في هجائه الملوك والولاة، ولكنه لم يذكر أسماء هؤلاء المهجوين من الملوك والولاة ربما لخطورة تلك على حياته، فمن ذلك قوله[304]:

دخلـتم فأفسـدتم قلوبـاً بملككـم فأنتم على ما جـاء في سـورة النمـل[305]
وبالعدل والإحسـان لم تتخلقـوا فلستم على ما جاء في سورة النحـل[306]

الفصل الرابع:
الدراسة الفنية

الفصل الرابع: الدراسة الفنية

1.4 ظواهر أسلوبية

جاء معظم الشعر الاجتماعي في عهد المرابطين والموحدّين في مقطوعات قصيرة تتميز بوحدة الشعور، وتعبر عن فكرة واحدة، وتنقل عاطفة واحدة، وتمتاز هذه المقطوعات والشعر الاجتماعي بصورة عامة بسهولة الأساليب، ورشاقة التراكيب، ورقة الألفاظ، ونعومتها، وكان الشاعر الأندلسي يختار اللفظ بانتقاء شديد؛ ليزيد من وقعها في نفوس المتلقين، ومن هذه الألفاظ لفظة (تسافر) الواردة في بيت الشاعر ابن خفاجة(307):

تســافر كلتــا راحــتي بجســمه　　　فطوراً إلى خصرٍ وطوراً إلى نهـدٍ

فقد أعطى الشاعر الكلمة معنى ظريفاً، وملأها بنوع مكثف من الإيحاء والخيال، فاليد تنتقل من جزء إلى جزء من جسم حبيبته، كما تعطي صاحبها نوع من اللذة والسرور لا حدود لها، وقد لا يشابهها إلا شعور المسافر الذي ينتقل من مكان إلى مكان، وما يحس به هذا المسافر من فرحة وسرور وجمال متجدد ومتنوع، يبعث فيه الفرح والسعادة، وفي قول مرج الكحل(308):

طفـل المسـاء، وللنسـيم تضـوع　　　والأنــس يــنظم شملنــا ويجمــع
والزهر يضحك من بكاء غمامة　　　ريعت لشـيم سـيوف بـرق تلمـع
والنهر من طرب يصـفق موجـه　　　والغصن يرقص والحمامة تسـجع

فلفظِتا (طفل، تضوع) لا يخفى ما فيهما من دماثة وإيحاء وتشبيه، فقد شبّه الشاعر الزهر بالإنسان الذي يضحك من شدة فرحه وسعادته، كما شبه

النهر بالإنسان الذي يصفق طرباً. ثم أن الجملة الشعرية قد تستعين ببعض من البلاغة لأجل تحسين اللفظة، وهذه المحسنات لا عيب من إتيانها، ولا ضرر على الأسلوب منها، وأفضل هذه المحسنات ما جاء عفوياً غير مقصود، وأما إذا جاء عن طريق القصد والتصنع فإنها تفقد الشعر روحه، وبالتالي يفقد وظيفته الحقيقية.

ومن الاستعانة بالظواهر الأسلوبية التي جرى عليه الشعراء في هذا العصر الاستعانة بالمحسنات اللفظية، وهنا نذكر أبياتاً لابن خفاجة من قصيدة جرى فيها على طريقة الشعراء في المشرق[309]:

علقته أحوى اللمى أحورا　　　عاطر أنفاس الصبي عاطلاً
معتدلاً معتدياً في الهوى　　　أحبب به معتدلاً مائلاً

فقد جانس الشاعر في البيت الأول جناساً ناقصاً[310] بين (أحوى) و(أحورا)، وبين (عاطر) و(عاطل)، وكذلك فعل في البيت الثاني، فقد جانس بين (معتدل) و(معتدى)، ثم طابق[311] بين (معتدل) و(مائل) في الشطر الثاني من نفس البيت.

ومن شعراء الموحدّين الذين زينوا أساليبهم بالمحسنات اللفظية، الشاعر الرصافي البلنسي[312]:

حمدوا إلى جدوا أعقبهم　　　حمد بأحمد ماله حد

فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين (حمدوا) و(حمد) و(أحمد)، وكذلك بين (جد) و(حد).

ويستخدم الجناس أيضاً لإثراء القصيدة بالنظم الناشيء من تجاور الحروف وتردد الأصوات، ومن ذلك ما جاء في قول الرصافي[313]:

غزيـل لم تـزل في الغزلـة جائلةً   بنانـه جـولان الفكـر في الغـزل

فالجناس في هذا البيت بين غزيل والغزل يعطي لوناً من الموسيقى الذي تطرب له الأذن.

ومن المحسنات اللفظية التي ظهرت عند الشعراء وولعوا بها في عهد المرابطين والموحدين وأكثروا من إدراجها في أشعارهم المقابلة[314]، ومن النماذج التي تظهر فيها أبيات لابن خفاجة[315]:

فـــإذا رنـــا، وإذا شـــدا   وإذا ســـقى، وإذا ســـفر
نضـــح المدامـــة والحمـــا   مـــة والغمامـــة والقمـــر

فقد قابل الشاعر في هذه الأبيات بين (فإذا رنا، وإذا شدا) ثم قابلها بـــ(إذا سقى، وإذا سفر). ومن الملحوظ أن ابن خفاجة يستعين كثيراً بالوسائل البلاغية في رسم صورة الأدبية، ولكن هذه الاستعانة لم تفقده الرونق والسلاسة، فجاء أسلوبه جميلاً، وكلامه بعيداً عن كل تعقيد أو تركيب ركيك.

ومن الأمثلة على استخدام فن المقابلة ما جاء في قول الشاعر ابن شلبون[316]:

أوجهك والألحـاظ والقـد والـروض   أم البدر واليعفور والغصن والحقـف
وريـــاك عـــم الخـــافقين أريجهـــا   أم المسـك مـن داريـن نم لـه عـرف

فقد قابل الشاعر في هذه الأبيات بين (أوجهك والألحاظ والقد والروض) و(أم البدر واليعفور والغصن والحقف).

ومن المحسنات اللفظية التي استخدمها الشعراء في عهد المرابطين والموحدين في أشعارهم التورية[317]، ومن ذلك ما يظهر في أبيات أبي جعفر بن سعيد التي يصف منها نهاراً قصيراً في أسنته وسروره؛ يقول[318]:

لله يـــــــوم مســــــــرة أضـــوا واقتصـــر مـــن ذبالـــه
لّمـــــا نصـــــبنا للمنــــــى فيـــــه بأوتـــــار حبالـــــه
طـــار النهـــار بـــــه كمـــر تـــاع فأجفلـــت الغزالـــة
فكأننــــــا مـــــن بعـــــده بعنـــبا الهدايـــة بالضـــلالة

والنهار: ذكر الحبارى، واليه أشار بقوله (طار النهار)، والغزالة هي الشمس وقد وارى فيهما توريتين جميلتين.

وقد أدى كثرة استخدام المحسنات اللفظية في عهد الموحدين إلى نوع من التكلف والتصنع وفقدان الشعر روحه ورونقه، ومن افتعالهم الزينة اللفظية، ما جاء في قول أبي النعيم رضوان بن خالد المالقي في رثاء عامر بن حسون، صاحب مالقة[319]:

سكنت فحركت الأسى والتفجعا ونمت وأيقظت البكا والتوجعا
ومـــتّ فأحييـــت المتاعـــب كلـــها وغبت فأحضرت المصائب أجمعا

حيث يظهر في هذه الأبيات الطباق بين (سكنت) و(حركت)، وبين (نمت) و(أيقظت) وبين (مت) و(أحييت)، وبين (غبت) و(أحضرت) وقد جانس الشاعر بين (التفجع) و(التوجع)، وبين (المتاعب) و(المصائب).

فالتكلف والتصنع والافتعال أمور ظاهرة في هذه الأبيات، في مقام الرثاء الذي يتطلب فيه الصدق والعاطفة الصادقة المعبرة عن هذا الموقف الحزين والانفعال، ولو خلص الشاعر من هذه الأبيات إلى مشاعره وعواطفه لكان أفضل له؛ لأن الرثاء ينم عن مشاعر صادقة، وإحساس مرهف مفعم بالعاطفة التي تسيطر على الأبيات.

وقد بلغ من تصنع الشعراء في عهد الموحدين أن بنوا قوافيهم على أحرف معينة تتكرر في كل الأبيات، ومن ذلك ما يظهر في أبيات أبي بكر بن يزيد بن محمد بن عقلاب[320]:

دن بالرضا واجنح لأسبابه   ودع من العتب وأوصا به
وقاسم الحر واقسم به   في حلوه إن كان أوصا به
واربط على العهد وحافظ على   ما قاله الخل وأوصي به

فالقافية المشتركة في هذه الأبيات هي (أوصا به) في البيت الأول، و(أوصا به) في البيت الثاني، و(أوصى به) في البيت الثالث.

واستمدّ الشاعر الأندلسي معانيه وأفكاره من ثقافته المختلفة: الدينية، والأدبية، واللغوية، لإثراء مضامين شعره، مستعيناً على ذلك بالتضمين أو التورية، أو الإشارة، فقد كان للثقافة الدينية أثر واضح في شعرهم وفنونهم، فمن ذلك قول عبد الله محمد بن أبي الخصال في مغن زاره بعد طول غياب[321]:

وأوفى وقد عظمت عليّ ذنوبه   في غيبة قبحت بها آثاره
فمحا إساءته بها إحسانه   واستغفرت لذنوبه أوتاره

فالألفاظ: عظم، ذنوب، وغيبة، وقبح، وإساءة، وإحسان، واستغفر مستمدة من الشريعة والفقه، وقد وظفها الشاعر في شعره بطريقة فنية جميلة.

ويعد الشاعر ابن سهل من أكثر الشعراء في هذا العصر استخداماً للألفاظ المستمدة من الشريعة والفقه، فالدارس لديوانه يستطيع التوصل إلى تلك الألفاظ، بيسر وأغلبها مستوحى من قصة سيدنا موسى عليه السلام، ومن ذلك قوله[322]:

فعلت فعال عصا الكليم لحاظه ... بمصـــدق دعـــواه لا يعصـــيه
تسعى لقلب الصب منها حية ... أودت بـه لسـعا فمـن يرقيـه
وأرى قلوب العاشقين تحيّرت ... مـن تيهـه في مثـل قفـر التيـه

فقد وظف الشاعر في أبياته بعض الألفاظ الدينية المأخوذة من قصة سيدنا موسى عليه السلام، وهذه الألفاظ هي: (عصا الكليم) و(حية) و(الرقية).

وقد كان بعض الشعراء يضمن شعره بعض الآيات القرآنية تضميناً كاملاً كما في قول أبي القاسم الغافقي ت (614هـــ) حيث يضمن قوله تعالى (ويحسب أن ماله أخلده، كلا لينبذن في الحطمة)؛ يقول[323]:

لا تغـبطن كـل موفـور الظنـى ... مشـــتملاً ملابـــس العظمـــة
يلمـــز لا بســـبب إلا بمـــا ... يحويـــه مـــن أكيـــاس المذممـــة
فـــالله قـــد أخـــبر عـــن أمثالـــه ... وقـــال عـــن آياتـــه المحكمـــة
"يحســـب أن مالـــه أخلـــده ... كـــلا لينبـــذن في الحطمـــة"

ومن الظواهر الأسلوبية التي ظهرت في هذا العصر توظيف المصطلحات النحوية في أشعارهم للتعبير عن بعض معانيهم وأفكارهم، ومن ذلك ما جاء في قول ابن جبير الرحالة[324]:

أخــلاء هــذا الزمــان الخــؤون   توالـت علـيهم صـروف العلـل
فقضـيت التعجـب مـن بـابهم   فصــرت أطــالع بــاب البــدل

فقد استمد (حروف العلل)، (أسلوب التعجب)، (البدل)، وهي من المصطلحات النحوية المعروفة.

ولقد كان أغلب الشعراء في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس يستقون معانيهم وأفكارهم من رافدين أحدهما يمتد من المشرق، والآخر من داخل الأرض الأندلسية، فأما ما أخذوه من الشرق فيتضح في معاني كثيرة، وأذكر منها قول الأعمى التطيلي في الرثاء[325]:

هل نافعي والأماني كلـها خـدع   قولي له اليوم لا تبعد وقد بعدا

فالمعاني الشرقية التي استعان بها الشاعر الأعمى التطيلي التي تظهر جلية في بيته (فلا تبعد وقد بعدا)، فقد أخذ معناه من قول مالك بن الريب في رثاء نفسه[326]:

يقولـون لا تبعــدوهم يــدفونني   وأيـن مكـان البعـد إلا مكانيـا

وقول الأعمى التطيلي[327]:

يمّمتــه فلقيــت خــير مــيمّم   ورحلت عنه فكـان غـير مـذمم

فالمعاني الشرقية التي وظفها الشاعر في بيته (يممته خير ميمم)، (غير مذمم)، وقد استوحاها من بيت المتنبي عندما فارق سيف الدولة إلى مصر[328].

فراقٌ ومن فارقتُ غير مذمم وأم ومن يمّمت خير ميمم

وقال ابن سهل في الرثاء[329]:

لقد أعقبت بالبؤس منك وبالنعمى وأصبح طرفاً لا أراك به أعمى

لقد احتذى الشاعر في قوله (طرفاً لا أراك به أعمى)، قول المتنبي في رثاء جدته[330]:

وما انسدَّت الدنيا عليّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

أما الرافد الثاني الذي ينبع من أرض أندلسية، ويتغذى من الموروث الأندلسي فكثر، ومن ذلك ما جاء في قول الأعمى التطيلي في قصيدة مدح[331]:

بكت هندُ من ضحك المشيب بمفرقي ما علمت أن الشباب خضاب

وقوله:

وأقسم لولا ماله من مآثر لأصبح ربع المجد وهو يباب

فقد استمد الشاعر قوله (الشباب خضاب)، (ربع المجد)، من قصيدة لابن وهبون في مدح ابن عمّار؛ حيث يقول[332]:

ولما رأيتُ الزور في الناس فاشيا تخيـل لـي أن الشـباب خضـاب
ولولا ابن عمّار وفاضـل سـعيه لأصبح ربع المجـد وهـو خـراب

واستعان الشاعر إبراهيم بن علي بن إبراهيم الخولاني ت (616هـــ) في بناء قطعته التي قالها بعد فتح قفصة[333]:

لما زنت، وهي تحت الأمـر محصـنة رجمتموها إتباع الشـر بالحصـب

بقول ابن خفاجة في تصوير تساقط المطر[334]:

وكأنمـا زنـت البسـيطة تحتـه فأكب يرجمها الغمـام الحاصـب

ويستغل ابن سهل صورة تثني القوام الرشيق، وتمايله الواردة في بيت ابن هانيء الأندلسي الآتي[335]:

ودعوك نشوى ما سقوك مدامـة لمـا تمايـل عطفـك اتهمـوك

فيقول ما يشبهه[336]:

وتوهموا أن قـد تعاطـت قهـوةً لمّـا رأوهـا تنـثني مـن لـين

فالصورة التي أخذها الشاعر ابن سهل من بيت ابن هانئ هو بعدما شرب من الخمر وسكر أصبح جسمه يتمايل من شدة السكر.

ونلفت النظر إلى ظاهرة تكرار المعاني والصور لدى شاعر واحد، وهو ما يظهر بشكل واضح وجلي عند الشاعر ابن سهل الأندلسي، حيث يكرر

بعض المعاني والصور التي تثير إعجابه في أكثر من مكان وفي أكثر من بيت في ديوانه، بنفس اللفظ أو بألفاظ قريبة، حتى أصبحت سمة يتسم بها شعره، ومن هذا التكرار قوله[337]:

إن فــؤادي فــراش شــوقكم   صــادف نــار الغــرام فاحترقــا

حيث كرر هذا اللفظ مرة ثانية بقوله[338]:

وكنت في كلفي الـداعي إلى تلفـي   مثل الفراش أحب النار فاحترقا

وعاد وكرر نفس اللفظ مرة ثالثة بقوله[339]:

ترى العواذِل حولي كالفراش وقـد   حاموا فأحرقتهم بالشوق في فرشي

فصورة الفراش الحائم حول النار، والمحترق بها تتكرر عند الشاعر في صورة فؤاده أولاً، وصورة حال كلفه ثانياً، وصورة العواذل وتهافتهم على الشاعر ثالثاً.

2.4 الموسيقى

إن الباحث في الشعر الاجتماعي يلحظ أن الشعراء كانوا يلتمسون الأوزان القصيرة لخواطرهم المرحة اللاهية، كقول ابن السيّد البطليوسي[340]:

عنـدي مشـكود مـن الخمـر عبـق
فيــه منــى مصــطبح ومغتبــق
كأنمــا كؤوســه تحــت الفســق
في راحــة الســاقي نجــومٌ تــأتلق

وللقوافي أهمية كبيرة في إيقاع الشعر، فإذا قلنا أن القافية عبارة عن عدة أصوات تكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، فإن تكرارها يكون جزءاً مهماً من الموسيقى، فهي بمثابة فواصل موسيقية[341]، وقد عني بعض الشعراء باختيار قوافيهم فجاءت مناسبة لموضوعاتهم، كقافية ابن بقي التي يقول فيها[342]:

عاطيته والليل يسحب ذيله ... صهباء كالمسك الفتيق لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه ... وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى إذا أخذت به سنه الكرى ... زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كيلا ينام على فراش خافق

فعلى الرغم من أن القاف من الحروف الثقيلة وإن الشاعر استطاع أن يخلق منها ترجيعاً موسيقياً جميلاً، وأن يخفف من ثقل القاف بالكسرة.

وقد لجأ الشعراء إلى وسائل شتى للخروج على رتابة الإيقاع الذي ينتج عن الالتزام بالوزن الواحد، وتكرار القافية، فاهتموا بتوفير لون من الموسيقى الداخلية وذلك عن طريق إيجاد جمل متناسقة من الناحية الصوتية، وعن طريق تناسق الألفاظ فمن ذلك قول ابن سعيد[343]:

والقضب راقصة والطير صادحةٌ ... والنشر مرتفعٌ، والماء منحدر
وقد تجلت من اللذات أوجهها ... لكنها بظلال الروح تستتر

والجمل المتناسقة التي تظهر في هذه الأبيات هي: القضب راقصةٌ، والطير صادحةٌ، والنّشر مرتفعٌ والماء منحدرٌ.

وهناك عناصر إيقاعية أخرى تثري القصيدة بالنغم والموسيقى، كتكرار حرف النداء، فله قيمة موسيقية لا يخفى وقعها في نغمة البيت كله؛ كما في قول ابن سعيد الأندلسي[344]:

يـا أوراقـاً، يـا غصـناً يانقـاً   يـا ظبيـة، يـا ليـل يـا صـبح

كذلك فإن تردد الحروف في البيت الواحد، يضفي لوناً من الموسيقى تألفه الأذن وتستريح له، كتكرار حرف السين في بيت ابن سهل الأشبيلي[345]:

نفسي تلـذُّ الأسـى فيـه وتألفـه   هل تعلمون لنفس بالأسى سببا

كما أن تردد أداة التشبيه في البيت الواحد يعطي نوعاً من الموسيقى، وهذا واضح في أبيات الرندي؛ إذ يقول[346]:

وليـلٌ بتـه كالـدهر طـولا   تنكـر لـي وعرفـه التمـام
كـان سمـاءه روضٌ تجلـى   يزهـو الزهـر والشـوق الكمـام
كـأن البـدر تحـت الغـيم وجـه   عليـه مـن ملاحتـه لثـام
كـأن الكوكـب الـدري كـأس   وقـد رق الزجـاج والمـدام
كـأن سـطور أفـلاك الـدراري   قسـى والرجـوم لهـا سـهام

كما يرصع ابن خفاجة شعره بقوله[347]:

فمـا أراه ظاعنـاً راحـلاً   إلا أراه قاطنـاً نـازلاً

فلفظة (فما أراه) إزاء (ألا أراه)، (ظاعناً) إزاء (قاطناً)، و(راحلاً) إزاء (نازلاً)، فالطرفان مستويان في الوزن والقافية.

وهناك ملحوظة يجدر الإشارة إليها، والمتعلقة بالأوزان في العصر الموحدي، ألا وهي استخدام بحر المتدارك أو الخبب، ولعل السبب يعود إلى أن البناء الموسيقي في هذا العصر قد تأثر تأثراً واضحاً بموسيقى الموشح، وذلك لوجود الكثير من شعراء هذا العصر الذين جمعوا بين الشعر والموشح، وتأثر البناء الموسيقي بموجة الغناء التي انتشرت في هذا العصر، فاتجه الشعراء إلى الأوزان الخفيفة الراقصة التي تناسب الغناء، وتفي بحاجات المغنين[348]، وقد شاع استخدام هذه الأوزان في الغزل إلى جانب الموضوعات الجادة كالمدح؛ مثل قول ابن سعيد بن حكم يمدح أحد أمراء الموحدين[349]:

يـــا أمـــير المؤمنيـــا	يـــا إمـــام العالمينـــا
نحـــن مـــا دمـــت بخـــير	لا تـــزل في الـــدائمينا
أمـــن الله بـــك الخـــا	ئـــف آمـــين آمينـــا

كما أن أمراء الموحدين كانوا يكلفون الشعراء النظم في بحر المتدارك أو الخبب؛ لخفته ورشاقته، فأكثر الشعراء من مدائحهم في هذا البحر، ومن ذلك قول ابن سكن الاشبيلي مادحاً[350]:

أخجلت الشمس لدى الحمل	وسمت قدماك على زحل
وكنـــت للشـــهب بـــنيرة	من شهب الظبا بذرى الأسل
أحرقـــت عـــداتك إذا مـــردوا	مـــن لمـــع شـــفارك بالشـــعل
ســـجدت في الأرض رؤوســـهم	بطبـــا الأســـياف علـــى عجـــل

3.4 الصّورة الشعرية:

هي رسم قوامه الكلمات، وقد لامسته صفة حسية، كما أن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة، أو أن الصورة يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض، ولكنها توصل إلى خيالنا شيئاً أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية. كما أن الطابع الأعم للصورة هو كونها مرئية، وكثيراً من الصور التي تبدو غير حسية لها مع ذلك في الحقيقة ترابط مرئي باهت ملتصق بها، ولكن من الواضح أن الصورة يمكن أن تسقى من الحواس الأخرى أكثر من استقائها من النظر[351]، يقول الدكتور عبد القادر القط: "الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية[352]".

وقد اهتم شعراء الأندلس بالصورة الشعرية اهتماماً بالغاً، واعتمدوا على الأسلوب الفني التصويري في نقل أفكارهم ومشاعرهم، سواء أكان ذلك بالأسلوب البياني أو بالأسلوب الوصفي، واغلب ما تكون الصورة الشعرية واضحة في الأشعار التي تصور خلجات النفس، والعواطف والوجدان، مع بيان وقع الأحداث عليها، وذلك حين يواجه الشاعر بعض المواقف الخاصة، مثل مواقف الوداع والقلق وغيرها، والآن تأمل هذه الصورة التي رسمها الوزير الفقيه الحبيب المشاور في موقف وداع:

أزف الفــراق، وفي الفــؤاد كلــوم   ودنــا الترحــل والحمــام يحــوم

قـل للأحبـة كيـف أنعـم بعـدكم   وأنـا أسـافر والفـؤاد مقـيم
قـالوا: الـوداع يهـيج منـك صبابةً   ويـثيرُ مـا هـو في الهـوى مكتـوم
قلت: اسمحوا لـي أن أفـوز بنظـرة   ودعوا القيامة بعـد ذاك تقـوم[353]

وقد كثرت الصوّر التقليدية التي استمدّها الشعراء الأندلسيون من أسلافهم، فقد ظلوا – مثلاً- يشبهون المرأة بالبدر في الجمال، ويقرنون شعرها بالليل، وقدها بالغصن، وخدها بالورد، وعيونها بالنرجس... إلى غير ذلك من الصور الموروثة؛ وفي هذا يقول ابن خفاجة[354]:

فتـق الشـباب بوجنتيهـا وردةً   في فـرع إسـحلية تميـد شـبابا
وضحت سوالف جيدها سوسـانةً   وتـوردت أطرافهـا عنابـا
بيضـاء فـاض الحسـن مـاءً فوقها   وطفـا بهـا الـدر النفـيس حبابـا
بـين النجـوم قـلادةً تحـت الظـلا   م غمامـة خلـف الصبـاح نقابـا

كما استفرغ الشعراء كثيراً من طاقاتهم الفنية في الإتيان بالتشبيهات والاستعارات الجديدة، واستخراج الصور الطريفة، وتوليد المعاني المبتكرة من أشعار الأقدمين، ومن هؤلاء الشعراء الرصافي البلنسي، كما في قوله يشبه الحريري وهو يمسك خيوط الحرير بفيه بالغزال وهو يمسك بالعرار؛ يقول[355]:

أغيـد يمسـك الحريـر بفيـه   مثلمـا يمسـك الغـزال العـرارة

وقد كان حازم القرطاجني ذا مقدرة تخييلية قوية ظهرت في تشابيهه واستعاراته وأتى فيها بالكثير من الصورة الجديدة، فألبس المعاني صورا حية، وبث روح الحركة و الحياة فيها، ومن أمثلتها قوله وهو يرسم صورة

طريفة لوردة بيضاء أنافت على ساقها تشرب بعد أن أشارت لها كف البروق بكأسها، ويذكره هذا المنظر بمنظر جارية تميس في غلائلها البيض، وترفع أذيالها حول رأسها[356]:

ومبيضّة الأثواب تـدعى بـوردة   تقل لها الأشياء عنـد التماسـها
أنافت على ساق لتشرب عندما   أشارت لها كف البروق بكأسـها
كجاريـة قامـت بـيضٌ غلائـل   مرفعـة أذيالهـا حـول رأسـها

ويصور خالد المالقي كأساً يجسمه تجسيماً حياً، فالكأس وهي في يد شاربها ضاحكة كالفتاة البكر الجميلة السعيدة التي تمرح بين السعادة والسرور والخضر؛ إذ يقول[357]:

والكأس ضاحكةٌ في كـف شـاربها   كالبكر تمرح بين الأنس والخضر

وقد تنوّعت الصورة في الشعر الأندلسي بين صور جزية، ولوحات كبرى توسل الشعراء في رسمها بالتشخيص والتجسيد، فالأشياء ترتفع إلى مرتبة الكائن الحي وتستعير صفاته، والمعاني منقولة إلى المادية والحسية في الحالة الثانية، كما قدم بعض الشعراء المدينة في صورة امرأة، يصورها الشاعر فتاة جميلة عذراء، تستر نفسها إذا جاءها الشاعر، وترتدي الملابس الحريرية الجميلة؛ يقول مروان بن عبد الملك بن عبد العزيز ملك بلنسية بعد فراقها[358]:

كـــأن بلنســـية كاعـــبٌ   وملبســـها ســـندس أخضـــر
إذا جئتهـــا ســـترت نفســـها   بأكمامهـــا فهـــي لا تظهـــر

ويلجأ بعض الشعراء إلى طرق أخرى في صياغة صورهم الفنية، كالتحوير والتغليف وحسن التعليل، فنرى ابن سهل في إحدى صوره يطرق معنى شائعاً متداولاً وهو غرق المحب في دموعه، ولكنه يجود في هذا المعنى ويسلك به درباً آخر فيقول إن جسده خف مما يعانيه من الضنى والعذاب حتى طفا فوق دموعه؛ وفي ذلك يقول[359]:

لستُ في دمعي غريقاً إنّما جسدي خفّ ضنى حتى طفا

وقد اعتمد الشعراء على حواسهم في بناء صورهم اعتماداً واضحاً، وكانت الصورة المرئية التي تعتمد على البصر مثل اللون، والهيئة، وانفعالات الوجه، والحركة من أكثر الصور دوراناً في الشعر، وصور أخرى تتوسل بالسمع وتصف الأصوات، وقد برزت هذه الصور من خلال مشاعرهم وأحاسيسهم في إطار من الجمال، والإيحاء الفني، كما مزج الشعراء بين هذه الصور وأخرجوها في لوحات فنية متكاملة.

فقد مزجت في الأبيات التالية التي قالها مرج الكحل عندما استمد صورته الغزلية من عناصر الطبيعة، الألوان الزاهية في الاستعارات التي تصور الحركة الهادئة والأصوات الخافتة؛ يقول[360]:

سروا يخبطون الليل والليل قد سجا وعرف ظلام الأفق منه تأرجا
إلى أن تخلينا النجوم التي بدت به ياسميناً والظلام بنفسجاً
ومما شجاني أن تألق بارق فقلت: فؤادي خافقاً متوهجاً
وشيب بياض القطر منه بجمرة فأذكرني ثغراً لسلمي ومفلجا
أمائسةُ الأعطاف من غير خمرة بأسهمها تضمُّ الكمي المدججا
أأنت التي صيرت قدك مائساً وعطفك ميادا وردفك رجرجا
وأغضبك التشبيه بالبدر كاملاً وبالدعص مركوماً وبالضبي أدعجا

وقلــب شــجٌّ صــيرته كــرة وقــد   أجلت عليه لام صدغك صولجاً
فــلا رحلــت إلا بقلــبي ضــعينةً   ولا حملــت إلا ضــلوعي هودجــاً

ويصف الشاعر ابن سارة نهراً مصوراً رقة أمواجه بحركة الخصر؛ وذلك إذ يقول[361]:

تترقرقــت الأمــواج فيــه كأنهــا   عُكن الخصور تهزهـا الأعجـاز

وقد استوحى الشعراء صورهم من مصادر كثيرة، بعضها تقليدي موروث، وبعضها يرتبط بالبيئة الأندلسية ارتباطاً وثيقاً، وبعد تتبع الكثير من الصورة الشعرية، تبين أن الشعراء استمدوها من حياتهم الاجتماعية، التي كانوا يعيشونها، فكان لها الفضل في ارفاد الشعر بالأخيلة والصور والتشبيهات الغزيرة، حتى بدت أشعارهم موشاة بصنوف الأزهار والورود، وغير ذلك من النباتات الجميلة، فنرى الشاعر الرصافي وهو يصف وردة فيتخيلها قد استمدت حمرتها من حمرة غلامه ولا يكاد يفرغ من هذا حتى يخلص إلى معنى آخر يشتقه من صورة الوردة، فيرى أن الوردة الحمراء تذكره بدماء غلامه الذي قتل وهو ينزف دماً فتوارت الوردة واستمالت إلى قطعة دماء مجتها الأرض من دم غلامه كما وتزخر هذه الأبيات بالألوان؛ يقول:

يا وردة جادت بها يد متحفي   فهمــي لهــا دمعــي وهــاج تأســفي
حمراء عاطرة النسيم كأنها   مــن خــد متقبــل التشــبيه مــترف
عرضت تذكرني دماً من صاحب   شــربت بــه الــدنيا ســلافة قرقــف
فلثمتها شغفاً وقلت لعبرتي   هي ما تمج الأرض من دم يوسف[362]

ويستوحي ابن خفاجة تصويره لإحدى الفتيات من شجرة إذ يتغزل بها وكأنها فتاة، وتظهر عناصر الصورة من لون وحركة وصوت في هذه الأبيات؛ إذ يقول:

يـا رب مائسـة المعـاطف تزدهـي ... من كـل غصـن خـافق بوشـاح
مهتـزة يـرتج مـن أعطافهـا ... ما شئت مـن كفـل يمـوج رداحِ
نفضـت ذوائبهـا الريـاح عشـيةً ... فتملكتنـا هـزة المرتـاح
حـط الربيـع قناعهـا عـن مفـرق ... شمـط كمـا تزبّـد كـأس الـراح
لفـاء حـاك لهـا الغمـام مـلاءةً ... لبست بها حسناً قميص صباح
نضـح النّـدى نوّارهـا فكأنما ... مسحت معاطفهـا يمـين سمـاح
ولوى الخليج هناك صفحةً معرضٍ ... لثمت سوالفها ثغـور أقـاح(363)

وكما استمدّ الشعراء في عهد المرابطين والموحدّين صورهم من الطبيعة الحيّة، فنسجوا منها صوراً لقت نجاحاً باهراً، فينشى الشاعر صوراً مترابطة متماسكة تنمو كالشجرة، فتظهر صورة جميلة باهرة، فقد رسم الشاعر الأبيض صورة جميلة لكبش العيد المتمني، فيصور الشاعر هذا الكبش بأنه زعيم لهذه الحظيرة وقد سيق إلى الذبح؛ وفي ذاك يقول(364):

وقـد أعددتـه ذبحـاً كريمـاً ... ليومـك والزمـان بـه شـحيح
زعـيم حضـيرة مـن آل ضـأن ... لـه في قومـه نسـب صـريح
تـرى أوداجـه تبـذي نجيعـاً ... كـأن ضـحى النهـار بـه جـريح
وكـان غنيمـة لأمـير قـوم ... مسـالكه إلى الغـارات فـيح
أصـمّم في الصـراط عليـه شـراً ... كـأني فوقـه بطـل مشـيح
أفوت به السـوابق وهـي تجـري ... بشـدة جهـدها وأنـا مـريح

كما يستمد الشاعر ابن سهل الأندلسي إحدى صوره الفنية من البيئة المسيحية وذلك من خلال حديثه عن فكرة التثليث في قوله يمدح ابن خلاص صاحب سبتة؛ يقول[365]:

فشا خوفه في الروم حتى حسامه ... لهم صنع سنوا السجود له جهراً
وأحسبهم قد ثلثوه فإنهم ... يرون عليهم النور والماء والجمرا

ومن الصور الفنية التي نسجها الشعراء في هذا العصر والتي تظهر فيها براعتهم في استنطاق الأشياء وتشخيصها وإضفاء روح الحركة والحياة عليها، فالنرجس يرنو مشيراً إلى الكؤوس والأسى ينصت، والتفاح يذوب حجلاً، والترنجان يميس في حلة سندسية، والكؤوس تضحك ووجه الدجنة يبتسم، وفي هذا الجو المشبع بالبهجة يطيب الغناء، ويلذ شراب الراح، فالأبيات لوحة جميلة نابضة بالحياة والحركة؛ يقول القاسم ابن يامن[366]:

رنت نحوكم مقل النرجس ... وأمست تشير إلى الأكوس
وقد حدد الآسى آذانه ... ليسمع ما دار في المجلس
وأخجل تفاحها واغتدى ... يروم الكلام ولم ينبس
وقد باح أترّجها بالهوى ... وظاهره بالضنى مكتسى
وماس الترنجان في حلة ... تروق العيون من السندس
وكالجمر نارنجنا قد بدأ ... يروع العيون ولم يقبس
وقد ضحكت بين أكؤس ... فوجه الدجينة لم يعبس
فيا ضارب العود حث الغنا ... ء ويا ساقي الكأس لا تحبس

كما إن بعض الصوّر التي ينشئها الشاعر تكون فيها مبالغات ممقوتة، فيبتعدون فيها عن صدق التجربة بهذه المبالغات المفسدة للصورة، وفي هذه

الحالة لا تنقل الصورة أي إحساس حقيقي، وهذا واضح في أبيات الشاعر الأبيض في التهنئة بمولود؛ إذ يقول[367]:

أصاغت الخيل آذاناً لصرخته   واهتزّ كل هزبر عندما عطسا
تعشّق الدرع مذّ شدّت لفائفه   وابغض المهد لّما أبصر الفرسا
تعلّم الرّكض أيام المخاض به   فما امتطى الخيل إلا وهو قد فرسا

الخاتمة

لقد عبّر الشعر الاجتماعي (في عهد المرابطين والموحّدين في الأندلس)، عن حياة الناس ومعيشتهم، وتباين ظروفهم وآمالهم وتطلعاتهم.

ورسم الشعر الاجتماعي صوراً للإصلاحات الاجتماعية التي قام بها بعض الأمراء والخلفاء وأوضح رعايتهم لمصالح الناس العامة، وعنايتهم بالمساجد والمدارس والمستشفيات.

ودرستُ في هذه الرسالة الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، وكانت الغاية المرجوة من هذه الدراسة إلقاء الضوء على ذلك العصر، فأكثر الدارسين والمؤرخين لم يعتمدوا على دراسة الشعر الاجتماعي، وإنما اقتصرت دراساتهم على جوانب أخرى.

وتبين لي أن الصلة كانت وثيقة بين الشعر والمجتمع، فبدا النقد الاجتماعي واضحاً في شعر الشعراء، وحمل الشعر في طياته تعريضاً بالسلطة الحاكمة، مصوراً الظلم الذي مارسته للمحافظة على نفوذها.

أمّا تيار اللهو فيبدو أنه كان أقل حدة من العصور السابقة، فقد رسم لنا الشعراء صورة واضحة عنه من خلال تناولهم للحياة اللاهية بشقيها، مجالس الشراب واللهو ومجالس الغناء والرقص.

كما ساهم الشعر في تجسيد الأعياد الدينية والطقوس المألوفة والعادات والتقاليد الاجتماعية التي تعبر عن العلاقات الودية التي تمتن أواصر الصلة بين أفراد المجتمع.

كما صوّر الشعر المرأة الأندلسية بما كانت تتمتع به من حرية جعلتها تشارك الرجال وتناظرهم في المجالس، كما سمحوا لها بالخروج والسير بالطرقات.

كما صوّر الشعر بعض المظاهر الاجتماعية من خلال لون شعري هو (شعر الإخوانيات) الذي أضحى ظاهرة اجتماعية كثرت واتسعت حتى غدت عادة مألوفة في ذلك العصر.

ولمستُ من استقرائي للشعر أن الشعراء اتكئوا علي الموروث الشعري حباً بالتراث، كما أسرفوا في اصطناع المحسنات البديعية، كالتورية والاقتباس والجناس والطباق.

وبنى الشعراء قصائدهم ومقطوعاتهم بناءً فنياً يتفق ومقاييس العصر، فعلى سبيل المثال كانت المقطوعات أكثر ملائمة لروح عصرهم للتعبير عن بعض الموضوعات، كالنقد الاجتماعي، وشعرهم المرح، أما الصورة الشعرية فقد تأثرت واستمدت من حياتهم الاجتماعية التي كانوا يعيشونها، فجاءت تعبيراً صادقاً عن مشاعرهم وعواطفهم.

وكل ما يمكن أن يقال: أن الشعر اتسع مجاله في ذلك العصر، واستمدّ الشعراء مادتهم من ثقافتهم، إلى جانب الموروث الشعري، فجاءت أشعارهم متشابهة بشكل كبير، إلا أنهم استطاعوا من خلالها رسم صورة واضحة المعالم لمجتمعهم في ظل حكم المرابطين والموحّدين. لهذا آمل أن تكون دراستي سبيلاً مضاءً، تساهم إلى حد ما في إماطة اللثام عن ذلك العصر بحيث يغدو واضحاً كسائر العصور السابقة.

الهوامش

1. علي الغزيوي، أدب السياسية والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري، مكتبة المعارف للنشر، الرباط، ص .63
2. حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (1405هـ-1985م)، ص .126
3. المصدر نفسه، ص .378
4. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1976م)، ص 134.
5. علي الغزيوني: أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري، ص .63
6. حسين مؤنس خير، فجر الإسلام، ص .396
7. علي الغزيوني، أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هجري، ص 75.
8. المؤرخ الألماني يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ترجمه ووضع حواشيه (محمد عبد الله عنان)، الطبعة الثانية، نشر بعناية مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص 482-.483

9. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الرابع، تعليق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1967، ص 23.

10. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الثالثة، (1383هـ-1963م)، القاهرة، ص 383.

11. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر، والمغرب والأندلس، الطبعة الأولى (1967م)، مكتبة النهضة المصرية ج4، ص 643.

12. أشياخ تاريخ الأندلس، ص 482.

13. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي المتوفى سنة (808) هجرية، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء السادس، طبعة جديدة مصححة ومنقحة اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها، تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ص 255.

14. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، (1999م)، ص 112.

15. حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي للنشر والطباعة، القاهرة، ص 413.

16. المصدر نفسه، ص .414
17. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص .112
18. المراكشي، المعجب، ص .235
19. أبو القاسم أحمد بن محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين، انظر المغرب، ج1، ص .162
20. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص .415
21. المراكشي، المعجب، ص .423
22. يوسف عروج، النثر الفني في عهد الموحدين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1983، ص .38
23. شفيق الرقب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1985م، ص .21
24. عبد الملك بن صاحب الصلاة (594هـ-1198م)، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، الجزء الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (1383هـ-1964م)، ص .437
25. المصدر نفسه، ص 437.
26. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية (1975م)، ص .84
27. عبد العزيز عتيق، الأدب الأندلسي في الأندلس، ص .142
28. أحمد مختاري العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الثانية، 1986، ص .289

29. أشياخ، تاريخ الأندلس...، ص .477

30. المصدر السابق، ص .484

31. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي...، ص .142

32. ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، القسم الثالث، تاريخ الموحدين عني بنشره أمبروس هوريس مراندة، ص 144.

33. المصدر السابق، ص .145

34. المصدر السابق، ص 145.

35. ابن سعيد أبي الحسين علي بن موسى (610هـ-685هـ) اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق ابراهيم الأبياري، قرئ على الدكتور طه حسين، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (1959)، ص 73-74،

36. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج3، ص .309

37. شفيق الرقب، شعر الجهاد، ص .27

38. أشياخ، تاريخ الأندلس، ص .494

39. المراكشي، المعجب، ص .393

40. عبد الرحمن ارشيدات، الأندلس الذاهبة، راجعه وحققه صلاح رشيدات، ج3، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط، الأولى، (1989)، ص 15.

41. ابن صاحب الصلاة، المن، ص 62.

42. المصدر نفسه، ص 63.

43. المصدر نفسه، ص 64.

44. المصدر نفسه، ص 214.

45. المصدر نفسه، ص 347.

46. المراكشي، المعجب، ص 362.

47. ابن صاحب الصلاة، المن، ص 347.

48. المراكشي، المعجب، ص 364.

49. أشباخ، تاريخ الأندلس، ص 494-495.

50. المصدر نفسه، ص 496.

51. المصدر نفسه، ص 494-495.

52. ابن صاحب الصلاة، المن، ص 286.

53. المراكشي، المعجب، ص 330.

54. ابن صاحب الصلاة، المن، ص 237.

55. شلير: هو جبل الثلج المشهور بالأندلس، وهو بإزاء جبل البيرة، وهو متصل بالبحر المتوسط، مقتطع بجبل رية، مكسو بالثلج صيفاً وشتاءً، انظر صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، معجم جغرافي وتاريخي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري جمعه سنة 866هـ. عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها، إ. ليفي بروفنصال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر 1937م، وقف على طبعه وتصحيحه بالقاهرة (مصر)، محمد فؤاد عبد الباقي، ص 112.

56. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص .112

57. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، منقحة، دار المعارف- القاهرة، الجزء الأول، ص .437

58. المقري، النفخ، ج1، ص .432

59. ابن سعيد، المغرب، ج1، ص .71

60. المقري، فتح الطيب، ج3، ص .52

61. ديوان ابن خفاجة، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ص 36.

62. البهارة: الجمال.

63. الأزهر- الأبيض، الأشنب- البارد.

64. ينصدع: ينشق.

65. ندي المجلس: النادي.

66. وضاح الجبين: يريد أنه مقمر، قصير أذيال الثياب، أي أن ظلامه لا يغطي الأرض كلها.

67. النور، الزهر، محطوط النقاب، كناية عن تفتق أكمام الورد.

68. ديوان ابن خفاجة، ص .52

69. المقري، نفح الطيب، ج3، ص .495

70. ابن سعيد، القدح، (ص 73-74).

71. المقري، نفح الطيب، ج3، ص 306.

72. شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، ص 113-114.

73. المقري، نفح الطيب، ج3، ص 316.

74. فوزي سعد عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، 40 ش سوتير، الإسكندرية، ص 149.

75. هو أحمد بن محمد بن طلحة، من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا جعفر، انظر الإحاطة، ص 235.

76. المقري، نفح الطيب، ج3، ص 309، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة 1393هـ-1973م، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ص 238، ابن سعيد، القدح، ص 117.

77. ديوان الأعمى التطيلي، أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (525هـ) ومجموعة من موشحاته، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص 164.

78. ابن سعيد، القدح، ص 179.

79. المصدر نفسه، ص 186.

80. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 109.

81. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي... ص .52
82. ابن سعيد، القدح، ص .144
83. ديوان ابن خفاجة، ص .120
84. المصدر نفسه، ص .85
85. أبقت، أبدت.
86. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 115-.116
87. المصدر نفسه، ص .110
88. ابن صفوان، أبو بحر إدريس بن صفوان ت (598هـ)، زاد المسافر وفراة محي الأدب السافر، إعداد عبد القادر محداد، بيروت، 1970م، ص .147
89. المقري، نفح الطيب، ج2، ص .311
90. ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم له الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت (1378هـ-1967م)، ص 363.
91. ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق محمود ديراني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، ص 124.
92. المصدر نفسه، ص .174
93. ديوان ابن سهل الأندلسي، ص .259
94. المقري، نفح الطيب، ج2، ص .285
95. ابن سعيد، القدح، ص .186
96. المقري، النفح، ج4، ص .111

97. راجعه هنري جورج فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، راجعه: عبد العزيز الأهواني، الناشر مكتبة مصر- الفجالة، ص 66.

98. أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان، 529هـ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه الدكتور حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1409هـ-1989م، ج3-4، ص 51.

99. المقري، النفح، ج4، ص 11.

100. المقري، أزهار الرياض، ج2، ص 209.

101. ابن خفاجة، الديوان، ص 221.

102. المصدرنفسه، ص 280.

103. ابن خفاجة، الديوان، ص 325.

104. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص 925.

105. ابن سعيد، المغرب، ج1، ص 90.

106. ابن الآبار، المقتضب من تحفة القادم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت الطبعة الثالثة (1410هـ-1989م)، ص 144.

107. عبد الرحمن الحجي، تاريخ الموسيقى الأندلسية، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط1، 1969م، ص 116.

108. خيال، اسم آلة موسيقية في مدينة أشبيلية.

109. الكريج: الكرجة، الطبل، الكرج من الملاهي.

110. الروطة، اسم آلة موسيقية وترية يعزف عليها في مصاحبة الغناء استعملها أهل الأندلس.

111. الرباب: آلة مربعة الشكل مشدود عليها جرزة من شعر الخيل، يعزفون عليها بقوس، انظر قاموس الموسيقى العربية، الدكتور حسين علي محفوظ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977، ص .82

112. القانون: آلة مثلثة في شكل لوح تجويفه أربعة أصابع، بلا ساعد، شدت عليها أسلاك من الشبه لكل ثلاثة منها لحن (انظر حسين محفوظ، قاموس الموسيقى العربية، ص 108).

113. الزلامي: المزمار.

114. البوق: بوق من نحاس أجوف في مقدار الذراع يتسع إلى أن يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم، وينفخ فيه في قصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم إليه فيخرج الصوت ثخيناً دوياً، انظر حسين لمحفوظ، قاموس الموسيقى العربية، ص 68.

115. رسالة إسماعيل بن محمد الشقندي، نشرها صلاح الدين المنجد في كتاب فضائل الأندلس، بيروت (1968م).

116. فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، ص .262

117. المصدر نفسه، ص .251

118. حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى (1992م)، ص .70

119. ابن دحية ذي النسيبين أبي الخطاب عمر بن حسن المتوفى سنة 633هـ، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري،

حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، راجعه الدكتور طه حسين، الطبعة الأميرية، القاهرة، 1954م، ص .70

120. المصدر نفسه، ص .70

121. الضبي، بغية الملتمس، ص 546، ترجمة رقم .1591

122. المقري، نفح الطيب، ج5، ص .73

123. المصدر نفسه، ج6، ص .76

124. انظر حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، ص .121

125. حسن النوش، التصوير الفني...، ص .122

126. ابن خاقان، قلائد العقيان، ج3-4، ص .819

127. ابن دحية، المطرب، ص 238.

128. الكالي: من كلأة، إذا راقبه.

129. الكالي: من كلأة البيع، أي مؤجل البيع.

130. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص .839

131. المقري، النفح، ج3، ص .225

132. ابن صفوان، زاد المسافر، ص 108-.109

133. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص .623

134. العماد الأصفهاني: محمد العماد الأصفهاني ت (597هـــ)، خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني، تحقيق محمد الدسوقي، وعلي عبد العظيم، ط، دار نهضة مصر بدون تاريخ، ص 52.

135. المقري، نفح الطيب، ج5، ص 16.

136. الضبي، بغية الملتمس، ص 97، ترجمة 179.

137. زاد المسافر، ابن صفوان، 109-110.

138. المقري، نفح الطيب، ج5، ص 204.

139. ابن خاقان، قلائد العقيان، ج 3-4، ص 821.

140. نفس المصدر، ص 821.

141. نفس المصدر، ص 829.

142. ابن خفاجة، الديوان، ص 265.

143. السجنجل: المرآة.

144. مغزل: الظبية التي ولدها غزال.

145. ابن الزقاق، الديوان، ص 235.

146. ابن خفاجة، ديوان، ص 54.

147. ابن الزقاق، ديوان، ص 265.

148. المصدرنفسبه، ص 264-265.

149. ابن خفاجة، ديوان، ص 363.

150. صلاح جرار، مرج الكحل، سيرته وشعره، دار البشير للنشر والتوزيع، ص 134.

151. حمدي عبد المنعم محمد حسين، (1986م)، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ص 383-384.

152. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضائي المعروف بإبن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ويضم تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة، ومن لم يؤثر عنهم شعر، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 1963، ص 216.

153. حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس... ص 384.

153. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته...، صفحة 160.

155. المرجع السابق، ص 160.

156. أبو بكر مح بن محمد بن علي بن خميس المالقي المتوفى بعد سنة (639هـ)، كتاب أدباء مالقة المسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والإبصار، فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤساء والأخيار، وتقييد ما لهم من المناقب وآثار، حققه وقدم له الدكتور صلاح جرار، دار البشير، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (1419هـ)، (1999م)، ص 250-251.

157. علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائع، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (1970م)، ص 196.

158. المصدر نفسه، ص 379.

159. انظر رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، 1987، الجزء الأول، ص 166.

160. حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، ص 336.

161. سعد إسماعيل شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف دار نهضة مصر، القاهرة، 1978، ص 8.

162. انظر د. محمد صبحي أبو حسين، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، اربد، 2003، ص 38.

163. شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسن نصار، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1983)، الجزء الرابع والعشرون، ص 26.

164. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 113.

165. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 47.

166. النويري، نهاية الأرب...، ص 26.

167. المصدر نفسه، ج24، ص 265.

168. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 16، 17، 18.

169. ابن خفاجة، الديوان، ص 96-97.

170. المقري، النفح، الجزء 6، ص 30.

171. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 139.

172. المراكشي، المعجب، ص 84.

173. انظر، ص 43 هذا الكتاب.

174. انظر ابن صفوان، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، ص 108.

175. ابن الآبار، الحلة السيراء، ج2، ص 69.

176. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 68-69.

177. ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني 543هـ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1398هـ-1978م، ق2، م2، ص 844.

178. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 144.

179. ابن حزم، طوق الحمامة، ص 44.

180. ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 223.

181. ابن الآبار، تحفة القادم، ص 144.

182. ابن خفاجة، الديوان، 122-123.

183. المصدر نفسه، ص 349.

184. ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور نعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة (1393هـ-1973م)، يشرف على إصداره محمد توفيق عويضة، الكتاب الثامن والعشرون، ص 54.

184. ابن الزقاق، الديوان، ص 198.

185. صلاح جرار، مرج الكحل، سيرته وشعره، ص 68.

187. ابن الزقاق، الديوان، ص 160.

188. المقري، النفح، ج5، ص 183.

189. ابن سعيد، رايات المبرزين، ص 85.

190. ابن الزقاق، الديوان، ص 74-75.

191. ابن خفاجة، الديوان، ص 35.

192. ابن الآبار، ديوان ابن الآبار، قراءة وتعليق الدكتور عبد السلام الهراس، كلية الآداب، جامعة الملك سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، الدار التونسية للنشر 1405-1985، ص 251.

193. ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م2، ص .736

194. المصدرنفسه، ص 736-.737

195. ابن حزم، طوق الحمامة، ص (53-54).

196. ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص .636

197. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص 536-.537

198. المصدر نفسه، ص .543

199. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، كتاب العمدة (في نقد الشعر وتمحيصه) شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (1424/ 2003)، ص .433

200. المصدر نفسه، ص .426

201. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص .119

202. ابن الزقاق، الديوان، ص .228

203. أبو بكر عبد العزيز بن قبطرنة، أصغر الأخوة الثلاث، انظر عمر الأسعد، ديوان رثاء الأزواج، ص .149

204. عمر الأسعد، ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى (1461هـ-1995م)، ص .152

205. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 70-73.

206. ابن سعيد، رايات المبرزين... ص .128

207. حجة، في الأصل، حدة.

208. شعر ابن جبير، جمع وتحقيق فوزي الخطب، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع (1991م)، ص .33

209. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، القسم الرابع، الجزء الثاني، ص .279

210. عمر الأسعد، ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي، ص .147

211. صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م، ص 90.

212. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص 46.

213. المرجع نفسه، ص .46

214. نزهون بنت القلاعي، وتنسب إلى غرناطة. ويقال نزهون الغرناطية ويكتب اسم أبيها بالياء احياناً فيقال "القليعي" وتعتبر نزهون شاعرة غرناطة في القرن الخامس الهجري.

215. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص .121

216. المقري، النفح، ج6، ص .31

217. المصدر نفسه، ص .31

218. المصدر نفسه، ج6، ص .32

219. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص .159

220. المقري، النفح، ج6، ص .31

221. المصدر السابق، ص .32

222. ابن سعيد، المغرب، ج1، ص .228

223. المقري، النفح، ج6، ص .32

224. المصدرنفسه، ص .27

225. المصدر نفسه، ص 27.

226. المصدر نفسه، ص .27

227. المصدر نفسه، ص .27

228. المصدر نفسه، ص .27

229. ذلك الوادي القريب من مجريط غير بعيد عن طليطلة، الذي قدم لنا شاعرة عظيمة في القرن الرابع وهي (حفصة بنت حمدون الحجارة) وهو في هذا العصر يقدم لنا شاعرة عظيمة أيضاً هي (أم العلاء بنت يوسف).

230. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص .38

231. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي...، ص .173

232. المقري، النفح، ج5، ص 301، ابن سعيد، المغرب، ج2، ص .38

233. المصدر نفسه، ص 301-.302

234. المصدر نفسه، ص .301

235. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص .38

236. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ص .499

237. المقري، النفح، ج5، ص .303

238. لسان الدين، الإحاطة، ص 499.

239. ابن دحية، المطرب، ص 10.

240. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي...، ص 219.

241. المقري، النفح، ج5، ص 303، المغرب، ج2، ص 138.

242. وقد ورد في الإحاطة والمقتضب، وتحفة القادم (أمنن عليّ بصكٍ).

243. ابن الخطيب، الإحاطة، ص 499، المقري، النفح، ج5، ص 309.

244. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 139، النفح، ج5، ص 308.

245. المقري، النفح، ج5، 308، المغرب، ج2، ص 139.

246. المصدر نفسه، ج6، ص 28.

247. المصدر نفسه، ص 28.

248. المقري، النفح، ج6، ص 28.

249. انظر الأبيات ص 58 من هذا الكتاب.

250. ابن سهل، الديوان، ص 239-240.

251. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 250.

252. ابن الأبار، الديوان، ص 441.

253. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص 670.

254. ابن الأبار، الديوان، ص 88-89.

255. الرصافي البلنسي، الديوان، ص 39-40.

256. ابن خفاجة، الديوان، ص 212-213.

257. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص .744

258. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص .306

259. هو أبو بكر بن محمد بن جهورة الأزدي، من أهل مرسية، انظر المقتضب ص 189.

260. ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص .189

261. المصدر نفسه، ص .189

262. ابن خفاجة، الديوان، ص .152

263. المصدر نفسه، ص .266

264. عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص .370

265. صلاح جرار، مرج الكحل سيرته وشعره، ص .117

266. هو أبو القاسم محمد بن محمد بن نوح الغافقي من أهل بلنسية وقاضيها، ت (614هـ)، انظر تحفة القادم، ص 77.

267. ابن الأبار، تحفة القادم، ص .77

268. المصدر نفسه، ص .69

269. ابن صاحب الصلاة، المن، ص .461

270. ابن الأبار، الديوان، ص .388

271. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص .271

272. ابن الأبار، الديوان، ص .390

273.ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م2، ص 785.

274. هو أبو الحسن علي بن لب بن شلبون المعافري، من أهل بلنسية، انظر المقتضب، ص .203

275. ابن الأبار، المقتضب من تحفة القادم، ص .203

276. انظر 47 من هذا الكتاب.

277. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص 514-515.

278. ابن خفاجة، الديوان، ص .183

279. ابن الأبار، الديوان، ص .287

280. ابن سعيد، القدح، ص .141

281. انظر ص 41 من هذا الكتاب.

282. أبو بكر محمد الأعمى المخزومي، قال عنه لسان الدين الخطيب في الإحاطة، ج1، ص 260 كان أعمى شديد الشر معروفاً بالهجاء مسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن للمعاريض، سابقاً في ميدان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره.

283. أبو بكر يحيى بن سحل اليكي، هجاء المغرب، انظر ابن سعيد، المغرب، ج2، ص .266

284. ابن سعيد، المغرب، ج1، ص 230.

285. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 1-.3

286. المقري، النفح، ج3، ص .490

287. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 127-.128

288. المصدر نفسه، ص .128

289. ابن خفاجة، الديوان، ص .369
290. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 267-.268
291. ابن سعيد، القدح، ص .203
292. المقري، النفح، ج3، ص .448
293. ابن الزقاق، الديوان، ص .295
294. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 128.
295. ابن صفوان، زاد المسافر، ص 80.
296. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، ص 246.
297. ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 845.
298. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، ص 246.
299. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 214.
300. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، ص 248.
301. المصدر نفسه، ص 248.
302. صلاح جرار، مرج الكحل، حياته وشعره، ص 82.
3.3. المصدر نفسه، ص 83.
304. المصدر نفسه، ص 83.

305. إشارة إلى قوله تعالى ((إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها))، سورة النمل، أية 43.

306. إشارة إلى قوله تعالى ((أينما يوجهه لا يأت بخير))، سورة النحل، آية 76.

307. انظر ص 63 من هذا الكتاب.

308. صلاح جرار، مرج الكحل سيرته وشعره، ص 74.

309. ابن خفاجة، الديوان، ص 248.

310. الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من أمور أربعة هي: نوع الحروف وشكلها، وعددها، وترتيبها. انظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، شرح وتحقيق حسن حمد، دار الجيل، طبعة جديدة محققة 2002م، ص 243.

311. الطباق: هو الجمع يبن الشيء وضده في الكلام، انظر السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 221.

312. ديوان الرصافي البلنسي، أبي عبد الله محمد بن غالب، جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس، دار الشروق، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، (1403هـ-1983م)، ص 60.

313. الرصافي، الديوان، ص 117.

314. المقابلة: وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، انظر السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 221.

315. ابن خفاجة، الديوان، ص 359.

316. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة الإعلام-1980، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (161) ص 342.

317. التورية: هي استعمال كلمة لها معنيان، معنى قريب يسرع إلى الذهن ولا يكون مقصوداً، ومعنى بعيد هو المراد، انظر سيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 218.

318. محمد مجيد الشعر، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 343.

319. ابن سعيد، القدح، ص 185.

320. ابن الأبار، المقتضب، ص 179.

321. العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص 460.

322. ابن سهل، الديوان، ص 267.

323. فوزي عيسى، الشعر في عهد الموحدين، ص 244.

324. المقري، النفح، ج2، ص 384.

325. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 25.

326. القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (1163) ص 271.

327. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 172.

328. المتنبي أحمد بن الحسين الكندي ت (354هـ)، الديوان، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصر- مطبعة الحلبي، الجزء الرابع 936م، ص 135.

329. ابن سهل، الديوان، ص 190.

330. المتنبي، الديوان، ج4، ص 108.

331. الأعمى التطيلي، الديوان، ص 8.

332. ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 313-314.

333. ابن صفوان، زاد المسافر، ص 135.

334. ابن خفاجة، الديوان، ص 76.

335. ابن هانئ، محمد بن سعدون الأزدي، ت (362هـ)، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت دار صادر، (1952م)، ص 264.

336. ابن سهل، الديوان، ص 223.

337. المصدر نفسه، ص 253.

338. المصدر نفسه، ص 255.

339. المصدر نفسه، ص 264.

340. انظر ص 20 من هذا الكتاب.

341. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مطبعة الأنجلو- القاهرة، (1965م) ص 442.

342. محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين، ص 348.

343. فوزي عيسى، الشعر في عهد المرابطين، ص 304 .

344. المصدر نفسه، ج2، ص 304.

345. ابن سهل، الديوان، ص 75.

346. المقري، النفح، ج1، ص 693.

347. ابن خفاجة، الديوان، ص 248.

348. انظر ابن سعيد، اختصار القدح، ص 182.

349. المصدر نفسه، ص 30.

350. ابن الأبار، المقتضب، ص 98.

351. سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة الدكتور أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة الدكتور عناد غزوان إسماعيل، ص 21.

352. انظر الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الطبعة الأولى، 1990، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص 19.

353. انظر ص 71 من هذا الكتاب.

354. ابن خفاجة، الديوان، ص 280.

355. الرصافي، الديوان، ص 78.

356. فوزي عيسى، الشعر في عهد الموحدين، ص 236.

357. انظر ص 27 من هذا الكتاب.

358. المقري، النفح، ج1، ص 169.

359. ابن سهل، الديوان، ص 244.

360. صلاح جرار، مرج الكحل سيرته وشعره، ص 67.

361. ابن خاقان، قلائد العقيان، ص 819.

362. الرصافي، الديوان، ص 109.

363. ابن خفاجة، الديوان، ص 281-.282

364. انظر ص 46 من هذا الكتاب.

365. فوزي عيسى، الشعر في عهد الموحدين، ص .239

366. المصدر نفسه، ص .238

367. انظر ص 89 من هذا الكتاب.

المراجع

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (595-658هـ) (د. ت) **تحفة القادم**، أعاد بناءه وعلق عليه إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي.

2. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (595-658هـ)، سنة 1963: **الحلة السيراء**، الجزء الثاني، ويضم تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة ومن لم يؤثر عنهم شعر، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.

3. ابن الأبار، أبو عبد الله بن الأبار القضاعي البلنسي، (595-658هـ)، 1985، **ديوان ابن الأبار**، قراءة وتعليق الدكتور عبد السلام الهراس، أستاذ الأدب الأندلسي- كلية الآداب- جامعة الملك سيدي محمد بن عبد الله- فاس، المغرب، الدار التونسية للنشر.

4. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي، (595-658هـ)، 1989، **المقتضب من تحفة القادم**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة.

5. العبادي، أحمد مختار (1986م)، **تاريخ المغرب والأندلس**، الطبعة الثانية.

6. أرشيدات، عبد الرحمن، 1989م، **الأندلس الذاهبة**، تعريب عبد الرحمن ارشيدات، راجعه وحققه صلاح ارشيدات، الجزء الثالث، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة الأولى.

7. الأزدي، علي بن ظافر الأزدي، 1970م، **بدائع البدائه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

8. الأسعد، عمر الأسعد (1416هـ-1995م)، **ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي**، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى.

9. الشقندي، إسماعيل بن محمد، (1968م)، **رسالة إسماعيل بن محمد**، نشرها صلاح الدين المنجد في كتاب فضائل الأندلس، بيروت.

10. أشياخ: المؤرخ الألماني يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمه ووضع حواشيه (محمد عبد الله عنان)، الطبعة الثانية، نشر بعناية مؤسسة الخانجي القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

11. الأعمى التطيلي: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (525هـ)، (د. ت) **ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة موشحاته**، تحقيق إحسان عباس.

12. الأندلسي، ابن حزم الأندلسي، 1987م، **رسائل ابن حزم**، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، الجزء الأول.

13. الأندلسي، ابن حزم الأندلسي، 1980م، **طوق الحمامة في الألف والآلاف**، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار بوسلامة للطباعة والتوزيع، تونس.

14. أنيس إبراهيم، 1965، **موسيقى الشعر**، مطبعة الأنجلو، القاهرة.

15. ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (543)، 1398م-1978م، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

16. الحجي، عبد الرحمن الحجي، 1969م، **تاريخ الموسيقى الأندلسية**، دار الإرشاد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

17. حسن، إبراهيم، 1967م، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس**، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، الجزء الرابع.

18. حسن، أحمد محمود، (د. ت) **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي للنشر والطباعة، القاهرة.

19. حسين، علي محفوظ، 1977، **قاموس الموسيقى العربية**، دار الحرية للطباعة، بغداد.

20. أبو حسين، محمد صبحي، 2003م، **صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين**، اربد.

21. حسين، مؤنس خير، 1405هـ-1985م، **فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية**، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

22. حمدي، عبد المنعم محمد حسين، 1986م، **تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

23. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، 1937م، (د. ت)، **صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)**، معجم جغرافي وتاريخي، جمعه سنة (866هـــ)، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها، أ. لافي بروفنصال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، وافق على طبعه محمد فؤاد.

24. ابن خاقان: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان، (1409هـــ-1989م)، (د. ت)، **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، حققه وعلق عليه حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى الجزء الثالث والرابع.

25. الخطبا، فوزي، 1991م، **شعر ابن جبير**، منشورات دار الينابيع للنشر والتوزيع.

26. الخطيب، لسان الدين بن الخطيب، (1393هـــ-1973م) (د. ت)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حققه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي للنشر- القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر.

27. جرار، صلاح جرار، 1993م، **مرج الكحل الأندلسي سيره وشعره**، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

28. خالص، صلاح، 1965، **اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في اشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها**، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

29. ابن خفاجة، 1961م، **ديوان ابن خفاجة**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

30. ابن خلدون: العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت 808هـــ، (د. ت) **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، الجزء السادس، طبعة جديدة مصححة ومنقحة، اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها (تركي فرحان المصطفى)، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

31. ابن خميس: أبو بكر بن محمد بن علي بن خميس المالقي ت (639هـــ)، (1999م)، **كتاب أدباء مالقة المسمى مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الأعلام والرؤوساء والأخيار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار**، حققه وقدم له صلاح جرار، دار البشير، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

32. ابن دحية: أبو الخطاب عمر بن حسن ت (633هـ)، (1954م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، وأحمد أحمد بدوي، راجعه طه حسين، الطبعة الأميرية، القاهرة.

33. الدقاق: عمر الدقاق، **ملامح الشعر الأندلسي**، دار الشرق العربي، بيروت.

34. الرصافي البلنسي: أبو عبد الله محمد بن غالب، **ديوان الرصافي البلنسي**، جمعه وقدم له إحسان عباس.

35. الرقب، شفيق محمد عبد الرحمن، 1985م، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن.

36. ابن الزقاق البلنسي، **ديوان ابن الزقاق**، تحقيق محمود ديراني، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان.

37. سعد، إسماعيل شلبي، 1978م، **البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف**، دار نهضة مصر، القاهرة.

38. ابن سهل الأندلسي، (1387هـ-1967م)، **ديوان ابن سهل**، قدم له إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

39. السعيد، محمد مجيد السعيد، .1980م، **الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس**، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر- سلسلة دراسات .161

40. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (610هـ-685هـ) 1959م، **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلي**، اختصره أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، قُرئ على طه حسين، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

41. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (610هـ-685هـ) 1973م، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة، يشرف على إصداره محمد توفيق عويضة، الكتاب الثامن والعشرون.

42. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (610هـــ-685هـــ) (د. ت)، **المغرب في حلى المغرب**، لابن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، طبعة ثالثة منقحة، دار المعارف، القاهرة، الجزء الأول والثاني.

43. السيد، أحمد الهاشمي، 2002م، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، شرح وتحقيق حسن حمد، دار الجيل، طبعة جديدة محققة.

44. السيد، محمود، 1999م، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

45. سيسل دي لويس، **الصورة الشعرية**، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سلمان حسن إبراهيم، مراجعة عناد غزوان إسماعيل.

46. الشكعة، مصطفى، 1975م، **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية.

47. ابن صفوان: أبو بحر إدريس بن صفوان، ت (598هـــ)، 1970م، **زاد المسافر وفرة محيا الأدب السافر**، إعداد عبد القادر محداد، بيروت.

48. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ت (599هـــ)، 1967م، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، دار الكتاب العربي.

49. عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين**، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

50. عبد الملك بن صاحب الصلاة (594هـ-1198م)، (1383هـ-1964م)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، الجزء الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

51. عتيق، عبد العزيز، 1976م، **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

52. عروج، يوسف، 1983م، **النثر الفني في عهد الموحدين بالمغرب والأندلس**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق.

53. العماد الأصفهاني، محمد العماد الأصفهاني، ت (597هـ)، بدون تاريخ، **خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الثاني**، تحقيق عمر الدسوقي، وعلي عبد العظيم، طبعة دار نهضة مصر.

54. عيسى، فوزي سعد (د. ت)، **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**، دار المعرفة الجامعية، 40 ش سوتير، الإسكندرية.

55. الغزيوي، علي، **أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، مكتبة المعارف للنشر، الرباط

56. فارمر، هنري جورج، **تاريخ الموسيقى العربية**، ترجمة حسين نصار، راجعه عبد العزيز الأهواني، الناشر مكتبة مصر- الفجالة.

57. القرشي، أبو زيد، 1963م، **جمهرة أشعار العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

58. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (1424هـ-2003م)، **كتاب العمدة في نقد الشعر وتمحيصه،** شرح وضبط عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

59. المتنبي، أحمد بن الحسين الكندي، ت (354هـ)، 1936م، **ديوان المتنبي،** شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مصر، مطبعة الحلبي، الجزء الرابع.

60. المراكشي، عبد الواحد، (1383هـ-1963م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب،** تحقيق (محمد سعيد العريان) الطبعة الثالثة، القاهرة.

61. المراكشي، ابن عذارى المراكشي، 1967م، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** الجزء الرابع، تعليق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، والقسم الثالث، تاريخ الموحدين عني بنشره امبروس هويس مراندة.

62. المقري: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى في عام (1041هـ) (د. ت) **أزهار الرياض في أخبار عياض،** الجزء الثاني والثالث، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

63. المقري: الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى في عام (1041هـ)، (د. ت) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،** تحقيق إحسان عباس، محمد محي الدين، دار صادر، بيروت، لبنان، مطبعة السعادة، القاهرة.

64. النوش، حسن أحمد، 1992م، **التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي**، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

65. النويري، شهاب الدين أحمد، 1983م، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقق حسين نصار، المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الرابع والعشرون.

66. ابن هانئ، محمد بن سعدون الأزدي، ت (362هـ)، 1952م، **ديوان ابن هانئ**، تحقيق كرم البستاني، بيروت، دار صادر.

67. الولي محمد، 1990م، **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي**، الطبعة الأولى، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.






9 789957 812508

تصميم: نائل هوجلي
079 7212693



دار جليس الزمان
للنشر والتوزيع

الأردن - عمان
شارع الملكة رانية - مقابل كلية الزراعة - عمارة العساف

Tel.: +962 6 5343052 - Fax: +962 6 5356219
E-mail: dar.jaleesalzaman@yahoo.com
dar.jaleesalzaman@hotmail.com